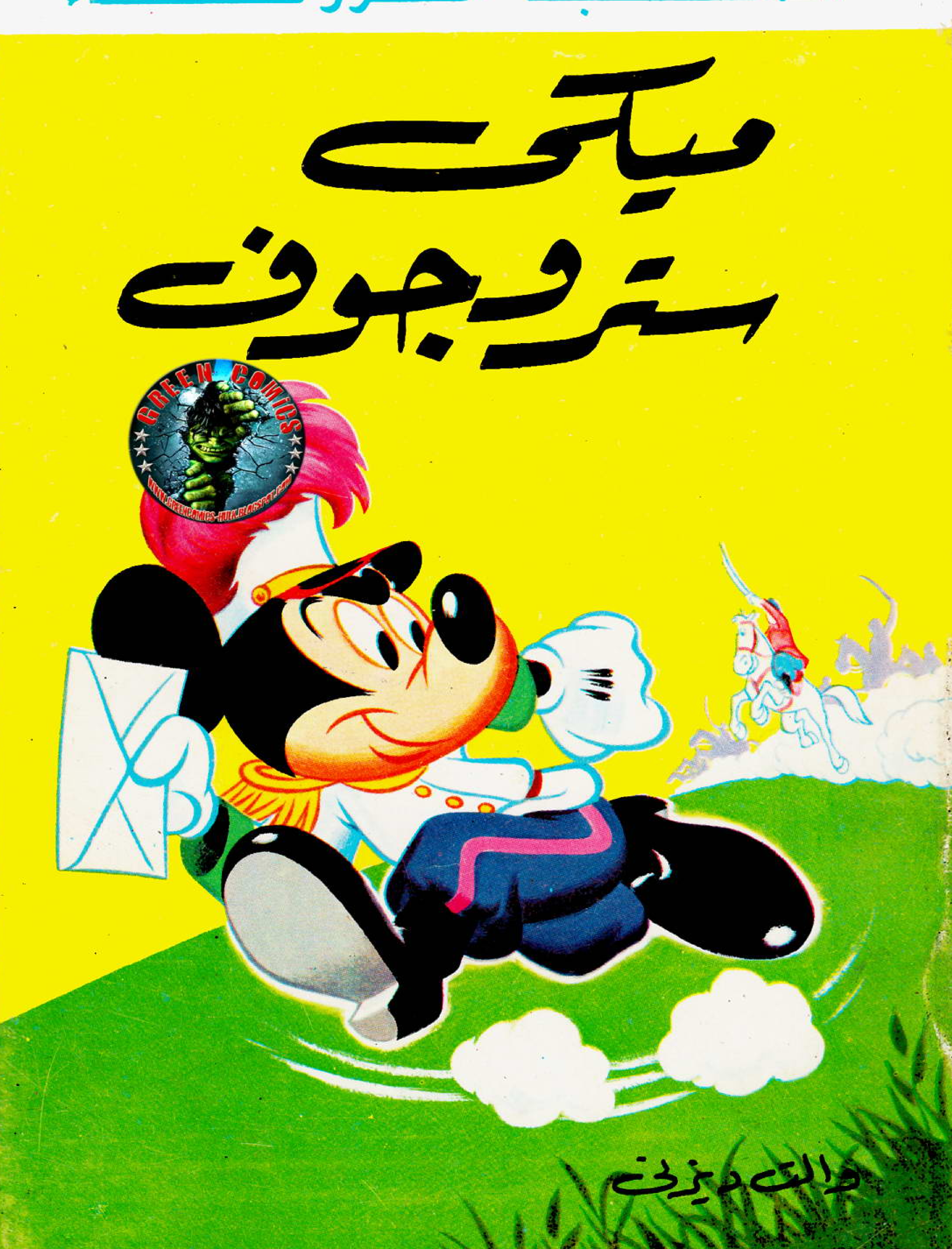
المكتبة الزرقاء



This is a fan base production, not for sale or Ebay Please delete this file after reading it, and buy the original licensed release as it hits the arabic markets to support its continuity

هذا العمل لعشاق أدب القصة المصورة العربية ويهدف في الأساس لتوفير المتعة الأدبية لهم وليس الهدف الأساسي منه التربح على الإطلاق.
نرجوا حذف هذا العدد بعد قراءته وشراء النسخة الأصلية المرخصة فور نزولها للأسواق العربية لدعم استمراريتها

GREEN COMICS
WWW.GREENCOMICSHULK.BLOGSPOT.COM

GREEN COMICS
WWW.GREENCOMICSHULK.BLOGSPOT.COM

THE INCREDIBLE HULK

١

عندما عاد « ميكى » إلى منزله فى ذلك المساء ، وبينما كان يعبر الحديقة ، تناهى إلى سمعه صوت رنين جرس التليفون ، فلم يتمالك أن قال لنفسه :

آمل ألا أصل متأخرا . لابد أن « ميمى » هى التى تطلبنى من «أكابولكو» . .

شرع « ميكى » يعدو نحو المنزل ، غير عابئ بنباتات البيتونيا ، التى كان يطأها بقدميه ، وفتح الباب ، ودون أن يهتم بإغلاقه ثانية ، أسرع إلى الصالون حيث كان التليفون يواصل رنينه .

ألو ! . . نعم ، هذا هو الرقم ! . . . حسنا ، سأنتظر ! . .
ألو ! « ميمى » ؟ ! أهذه أنت يا « ميمى » ؟ ! . . إننى سعيد بأن أسمع صوتك . كيف كانت رحلتك بالطائرة ؟

– رائعة ! كان معى أناس غاية فى اللطف ، ومن المشاهير . كان منهم الترزى « كوكوريكو » ، وبطل الشطرنج « بات مات » . . .

ولكن « ميكى » قاطع هذه الثرثرة الاجتماعية : ثرثرة الصالونات وسألها :

– أقصد هل كانت رحلة الطائرة هادئة ؟

– كانت هادئة جدا ! ولم يتخللها أى تغيير فى برنامجها .

– والمنزل الذى استأجرتيه لقضاء الإجازة ، كيف وجدتيه ؟

– مصادفة ! إننى . . . فقاطعها « ميكى » قائلاً :

ليس هذا ما أعنيه يا « ميمى » . إننى أسأل عما إذا كان المنزل قد أعجبك .

– إنه رائع ! لا يمكنك أن تتصور جماله يا « ميكى » ! . . فواجهته تطل على الخليج مباشرة . ومن نافذة حجرتى ، أستطيع أن أشاهد الشاطئ ، وأشجار النخيل والبحر .

– وفيما عدا حمامات الشمس ، ولعب الجولف ، والذهاب إلى السينما ألا تشعرين بملل ؟

عندما عاد « ميكى » إلى منزله فى ذلك المساء ، وبينما هو يعبر الحديقة ، تناهى إلى سمعه صوت رنين جرس التليفون .

– إننى لم أفعل شيئا من كل ذلك يا « ميكى » .

فصاح « ميكى » فى دهشة : ما هذا الذى تقولين ؟ ! أفى المكسيك منذ يومين ، ولم تزاولى بعد أى نشاط ؟

– إننى أقرأ باستمرار . .

– تقرأين ؟ ! هل تريديننى أن أصدق أنك قطعت كل هذه المسافة إلى « أكابولكو » تلك الجنة السياحية ، لمجرد القراءة ؟

– مهلا يا « ميكى » ! فقبل مغادرتى « دونالدڤيل » ، استعرت كتابا من مكتبة البلدية . وكنت أنوى قراءة بضع صفحات منه كل يوم قبل النوم ... ولكننى ما بدأت قراءته وأنا فى الطائرة ، حتى ألفيته مثيراً ، لدرجة أننى لم أستطع التوقف حتى أتممت قراءته . إنه كتاب خيالى « لجول ڤيرن » ، وعنوانه . . انتظر لحظة ، سأحضر الكتاب !

تركت « ميمى » سماعة التليفون ، وذهبت لإحضار الكتاب ، وقالت وهى تركز بصرها على غلافه :

– إن عنوانه : « ميشيل ستروجوف رسول القيصر » . وهو يحكى قصة مدهشة ، تدور أحداثها فى روسيا منذ نحو مائة عام ، ولكن ، صبرا ، سأروى لك القصة .

فصاح « ميكى » مذهولا :

– ما هذا الذى تقولين ؟ هل من المعقول أن تروى لى القصة





تليفونيا ! إنها قصة طويلة ، وفضلا عن ذلك فقد سبق أن قرأتها مرتين . .

فقالت « ميمى » ، وهى تجلس على مقعد وثير :

– أنا متأكدة من أنك نسيتها . هيا ، كن ظريفا ، واجلس مثلى فى هدوء واصغ إلىّ ! . .

حاول « ميكى » أن يقاطعها ، وهو يفكر فى المبلغ الضخم الذى ستتكلفه هذه المكالمة الخارجية :

– كلا يا « ميمى » ! انتظرى لحظة ! لا تنسى أن . . .

فأجابته صديقته محتدة :

– صه ! إننى سأروى لك القصة ، وأنا مصرة على ذلك ، فلا داعى للمناقشة .

تنهد « ميكى » فى استسلام ، وغاص فى مقعده استعدادا للاستماع .

كان صوت « ميمى » يصل إليه رقيقا ساحرا ، وقد بدأت تروى له قصة « ميشيل ستروجوف » المشوّقة . وبعد فترة قصيرة ، بدأ « ميكى » يشعر بتثاقل جفنيه ، فترك لنفسه العنان لتنساق مع هذا الشعور اللذيذ بالاسترخاء . وسرعان ما بدا له أن صوت « ميمى » يتباعد ويتباعد ، وأنه يزداد خفوتاً ، إلى أن استسلم أخيراً للنعاس . وطفق يحلم بأنه هو بطل القصة التى كانت







« ميمى » تسردها عليه .

ومن هنا تبدأ قصتنا . . قصة « ميكى ستروجوف » .

٢

بعد ظهر يوم جميل من أيام القرن الماضى ، وفى القصر الإمبراطورى بموسكو ، أقيم حفل استقبال فخم . كانت قاعات القصر تتلألأ بالأنوار ، وتعج بالنبلاء وكبار الضباط .

كان الجو يشع بالبهجة ، ولم يكن يبدو على أحد من المدعوين ضجر أو ملل . وفى القاعة الرئيسية كان عدد كبير من الرجال والسيدات ، يرقصون على نغمات موسيقى الڤالس . وكان القيصر نفسه من بين الراقصين ، وقد حاول جاهداً ألا يطأ قدمى زميلته فى الرقص . وهى محاولة لم يكتب لها النجاح .

كان القيصر يحاول التسرية عن زميلته ، فأخذ يمتدح رقصها قائلاً وهو يبتسم :

– إنك ترقصين الڤالس بمهارة فائقة يا سيدتى البارونة !

– هذا تلطف كبير منك يا صاحب الجلالة . ولكنى مع الأسف لا أستطيع أن أرد لك إطراءك . . .

– كيف ذلك ؟ ! ترى هل تعتقدين أننى لا أجيد الرقص ؟

– إن رقصك لا بأس به يا صاحب الجلالة ، ولكنك تميل

إلى الاعتقاد بأن أصابع قدمي هي حلبة الرقص . الأمر الذي يسبب لي ألما شديدا !

فأجابها القيصر في لهجة يشوبها الغضب :

- حسنا ! ستدركين توا أنني أمهر راقص في البلاط . .

قال القيصر ذلك ، وهو يجذب البارونة بعنف ويدور بها في أرجاء القاعة الواسعة . مصطدما بالراقصين ، وبالخدم وهم يحملون أقداح الشراب التي أخذت تتطاير بين الراقصين . وصارت القاعة أشبه شيء بالملعب .

صاحت البارونة التي كانت تعاني من ضعف القلب متوسلة :

- كفى ! كفى ! إن رأسي يدور ، و . .

- لا تنزعجي ! . إنني لن أتركك تقعين !

وفي هذه اللحظة ، دخل القاعة الكبرى أحد الجنرالات في زيه الرسمي ونياشينه اللامعة ، وأخذ يحاول عبثاً جذب انتباه الإمبراطور . ولما لم ينجح ، بادر بكتابة بضع كلمات على ورقة وثبتها في طرف عصا طويلة ، وبمهارة فائقة تمكن من إيصالها أمام وجه الإمبراطور . . .

قرأ القيصر ما كتبه الجنرال ، وفحواه :

صاحب الجلالة . . . يجب أن أتحدث إليكم في الحال .



توقف الإمبراطور فجأة ، وأطلق سراح البارونة المسكينة التى كان الدوار قد بلغ بها أشده ، فترنحت ، وهوت على الأرض ، فتركها وتوجه نحو الجنرال ، وهو يصيح به : كم من مرة قلت لك ياجنرال « كيريلوف » أننى لا أحب أن يزعجنى أحد وأنا أرقص !

أدى الجنرال تحية التعظيم للقيصر ، وأجاب :

– معذرة يا صاحب الجلالة ، إن الأمر يتعلق بموضوع لا يمكن إرجاؤه . وأخذ يتلفت حوله فى حذر وأضاف :

– هل يمكن أن نتحدث فى مكان آخر يا صاحب الجلالة ؟ ! فالأمر بالغ الأهمية ، ولا يجب أن يسمع حديثنا أحد .

– حسنا ، هيا بنا إلى المكتب !

قال ذلك والتفت نحو البارونة ، وكانت ماتزال جالسة على الأرض تحاول استعادة قواها الخائرة . واستطرد موجها حديثه إليها :

– أرجو المعذرة يا سيدتى البارونة . لقد جاء الجنرال فى وقت غير مناسب . ولكن . . .

فقاطعته البارونة قائلة : بالعكس ، إن الوقت مناسب تماما ! . .





– إن مهام الدولة تستدعيني ، ولكني سأعود لنستأنف الرقص

– لا يشغلنك أمرى يا صاحب الجلالة ، دع ذلك لفرصة أخرى !

وما أن غادر الإمبراطور القاعة ، حتى نهضت البارونة من جلستها على الأرض وهى تستند إلى الحائط ، وأسرعت بالتسلل للخارج ، رغبة منها فى العودة إلى قصرها ، لكي تضع قدميها فى حوض من الماء الساخن .

وفى المكتب الخاص بالقيصر ، عقد اجتماع بالغ الأهمية . ولكن الإمبراطور كان قلقا ، يريد بفروغ صبر ، العودة إلى مدعويه ، وكان ينفث عن قلقه هذا ، بخبطات صغيرة وسريعة على منضدة أمامه . بينما كان « كيريلوف » يتكلم :

– يا صاحب الجلالة ، إن هذه اللحظة بالغة الحرج ، فجحافل التتار قامت بغزو حدود سيبيريا .

– وماذا فى غزو التتار لحدود سيبيريا ؟ ! إن ذلك لا يهمنا فى شىء .

أجاب الجنرال ، مشيرا بطرف عصا إلى خريطة كبيرة معلقة على الحائط :

إن سيبيريا ياصاحب الجلالة ، جزء من إمبراطوريتكم . إن



هذه المنطقة الشاسعة الواقعة فى آسيا الشمالية ، وعاصمتها إركوتسك يحكمها أخوكم الغراندوق يا صاحب الجلالة ، وهو يضطلع بمسئولية الحاكم .

– باللعنة ! إن ما تقوله صحيح . لقد نسيت تماما أننى أمتلك سيبيريا . وأننى بعثت بأحد أفراد أسرتى لحكمها .

– إن الغراندوق معرض لخطر جسيم يا صاحب الجلالة . إن أحد رجال قيادتنا العليا . وهو الكولونيل « ماسكارا نجرينسكى » ، تخلى عن مركزه وانضم إلى صفوف « بات هيبول خان » ، أمير التتار المغيرين علينا .

فصاح القيصر : باللخائن ! لسوف أغرقه فى برميل مملوء بالفودكا .

– ولكننا مع الأسف لن نستطيع التوصل إليه يا صاحب الجلالة . . إنه هو الذى يهددنا الآن .

أهوى الإمبراطور بقبضته على المنضدة فى غيظ وهو يكرر :

– آخ ! آخ . . !

– تصوروا جلالتكم ماذا يمكن أن يحدث لو أن هذا الخائن المدعو « ماسكارا نجرينسكى » وصل إلى إركوتسك ، وقدم نفسه إلى أخيكم الأرشيدون منتحلا صفة المستشار العسكرى ! فالغراندوق مايزال جاهلا بخيانة الكولونيل .





فتساءل القيصر وقد بدا عليه القلق لأول مرة :

– وماذا يمكن أن يحدث بعد ذلك .

– إن «پات هيبول خان» ، بفضل معاونة هذا الخائن ، سوف يعرف كل خططنا الدفاعية فى سيبيريا ، وعندئذ يستطيع أن يحطم قواتنا ... فبادروا إلى تحذير أخيكم يا مولاى ! . .

قام الإمبراطور من مقعده ، وأخذ يذرع أرض الحجرة ذهابا وجيئة ، ثم استطرد قائلاً : ، يجب إذن ألاّ نضيع الوقت ! ولكنى لا أدرى لماذا انتزعتنى من الحفل ، طالما حل المشكلة فى يدك ! بادر فورا بإرسال برقية إلى أخى ، تطلعه فيها على حقيقة الموقف ! أما أنا فسأعود إلى القاعة إذ لا شك فى أن البارونة قد نفد صبرها .

– هذا مستحيل يا صاحب الجلالة ! إن أجهزة البرق لا تعمل .

– ما معنى أن « أجهزة البرق لا تعمل » ؟ ! إذن ماذا تعمل أنت على رأس جهاز الشرطة الإمبراطورى ؟ كيف تسمح بتلف ممتلكاتى ؟ استدع لى وزير المواصلات ، ومدير التلغرافات ، ورئيس الصيانة ، لآمرهم بإصلاح العطب فورا . .

– إن هذا مستحيل أيضاً يا صاحب الجلالة . إن العطب يقع على بعد ثلاثة آلاف وخمسمائة فرسخ من هنا ، فى منطقة







أومسك . لقد قطع التتار الخط ، ليحولوا دون اتصالنا بسيبيريا .

– معنى ذلك أن سيبيريا أصبحت الآن معزولة ؟ ياللعنة ! إن الأمر لأقوى مما يحتمل . إن تلك العصابات من قطاع الطرق ، يعرضون دولتى للخطر . يجب إذن أن نوفد رسولا بأسرع ما يمكن إلى إركوتسك . هذا هو الحل الوحيد . ويجب أن يتم اختيار هذا الرسول من خيرة ضباط الحرس الإمبراطورى .

وبعد بضع دقائق ، وصل أحد الجنود إلى « ميس » ضباط الحرس الإمبراطورى ، ووقف فى حالة « تعظيم سلام » أمام أحد النقباء وقال :

– النقيب « ميكى ستروجوف » ؟ ! إن جلالة إمبراطور كل روسيا يرغب فى رؤيتكم فورا بمكتبه الخاص .

وبعد قليل ، كان الضابط الشاب يقدم نفسه للقيصر ثم للجنرال « كيريلوف » . لم يضيّع الإمبراطور وقتا ومد يده إلى الضابط بمظروف مقفل ، وهو يقول بصوت آمر :

– أيها الشاب . إن هذه الرسالة المختومة بخاتمى الخاص ، يجب أن تصل بأسرع وقت ممكن إلى إركوتسك ، وتسلم إلى أخى الأرشيدوق شخصيا .

فأجاب « ميكى ستروجوف » : سوف تسلم إليه يا صاحب الجلالة .





واستطرد القيصر: ولكى تصل إلى غايتك ، ستضطر لاختراق بلاد متمردة ، غزاها التتار .

– سأخترقها يا صاحب الجلالة .

– وسوف يلجأ التتار لكل وسيلة لمصادرة هذه الرسالة .

– سأتوخى جانب الحذر من التتار يا صاحب الجلالة .

– ولكن ، وقبل كل شىء ، يجب أن تحذر من الكولونيل « ماسكارا نجرينسكى » ، فهو خائن للوطن ، وسيحاول اعتراض طريقك .

– سوف أتجنب الخائن يا صاحب الجلالة .

وهنا اقترب الجنرال « كيريلوف » من « ميكى » وسلمه وثيقة أخرى وهو يقول : هذا هو جواز مرور باسم « نيقولا بوتوف » . إنك ستتنكر فى هيئة تاجر ، لتمر دون لفت الأنظار إليك .

– سأمر دون لفت الأنظار يا سيدى الجنرال .

فقال القيصر :

– تشجع يا « ميكى بوتوف » !

– اسمى « ميكى ستروجوف » ياصاحب الجلالة .

فصاح الجنرال « كيريلوف » :

– كلا ، كلا . اسمك « نيقولا ستروجوف » . أوه كلا ! . . اسمك منذ الآن هو « نيقولا بوتوف » .





وعاد القيصر يقول مشجعاً ، وهو يمد يده مصافحاً الضابط الشاب :

ومرة أخرى تشجع أيها النقيب . أرجولك النجاح فى مهمتك ، من أجل كل البلاد الروسية ! من أجل أخى ومن أجلى .

– سأنجز مهمتى ياصاحب الجلالة .

ضم الضابط كعبيه بشدة ، وانتصب فى وقفته وعظم القيصر ، ثم غادر المكتب فى خطوة عسكرية .

وما أن وصل « ميكى » إلى بيته حتى حرر لخطيبته رسالة يقول فيها :

«عزيزتى ميموشكا» .

إنى راحل فوراً فى مهمة خاصة ، تقتضينى أن أعبر جبال الأورال . هذا ولا أعرف متى سأعود ، كما أننى لا أستطيع أن أخبرك بأكثر من ذلك ، لأن مهمتى بالغة السرية .

مع قبلاتى

ميكى

واستدعى «ميكى» مراسله «فيدور» وسلمه الخطاب قائلاً :

– « فيدور فيدوروفيتش » ، عليك بإيصال هذا الخطاب







إلى خطيبتى «ميموشكا ميميشكوفا» ، ثم قم بعد ذلك بإجازة لمدة شهر .

– لمدة شهر أيها النقيب ؟! هل ستقوم برحلة ؟!

– يبدو ذلك ! .. إلى اللقاء يا «فيدور» . سأراك عقب عودتى .

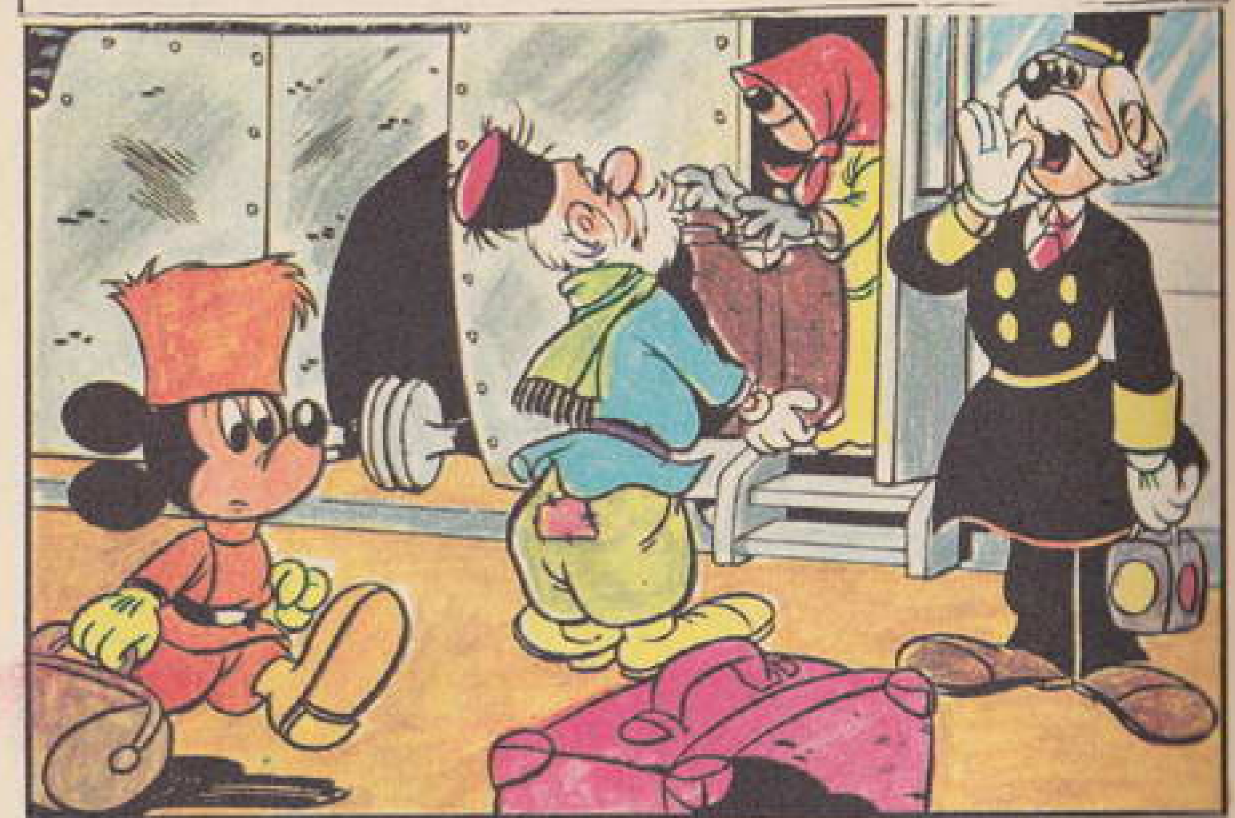
– ٣ –

وفى اليوم التالى ، وكانت الساعة تشير إلى الرابعة بعد الظهر . وصل «ميكى ستروجوف» . أو «نيقولا بوتوف» . إلى محطة موسكو ، مرتدياً زى التجار ، ليستقل القطار الذى يصل به إلى نيجنى نوفجورود ، وهى أولى مراحل رحلته .

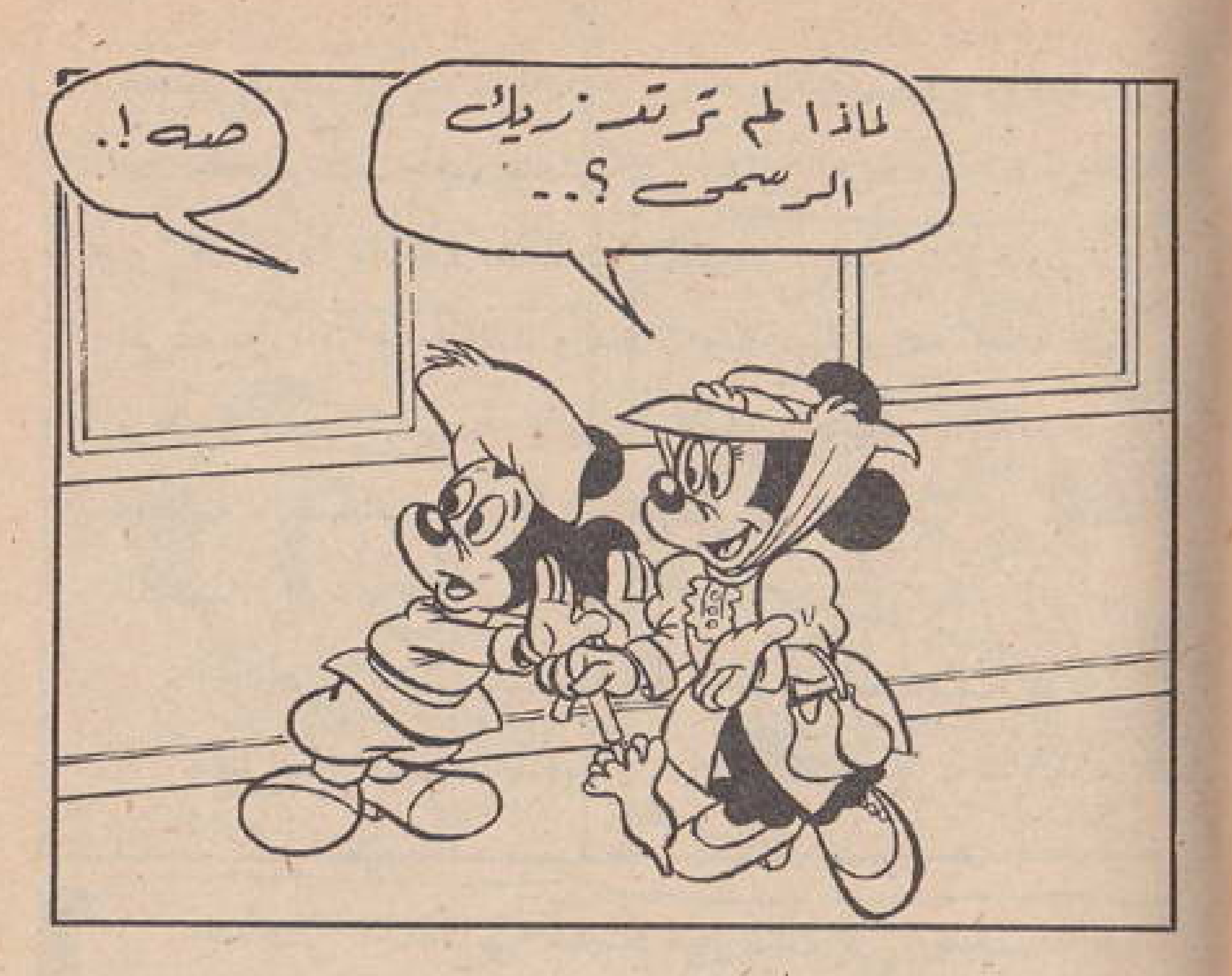
كان القطار ككل قطارات القرن الماضى لايشجع على السفر . فهو بطىء ، قذر ، لايتوافر به شىء من أسباب الراحة . فضلاً عن الضوضاء العالية التى يحدثها . وكان المسافر الذى يضطر للسفر بالدرجة الثالثة . يتحمل شتى أنواع العذاب . فقد كان عليه أن يرضى بصحبة الدجاج والماعز التى كان الفلاحون ينقلونها معهم . وكانت ترقد على المقاعد وتعبق جو المكان برائحتها الكريهة .

صعد ميكى إلى إحدى عربات الدرجة الثالثة . ولحسن الحظ . وجد مقصورة خالية تماماً ، فجلس على المقعد الخشبى .

وفى اليوم التالى ، وصل «ميكى ستروجوف» أو «نيقولا بوتوف» إلى محطة موسكو مرتديا زى التجار ..







وأقفل باب المقصورة ، حتى لايزعجه أحد : إنه كان حريصاً على ألا تشاركه الدواجن مقصورته .

وأخيراً ، تناهى إلى سمعه صوت ناظر المحطة وهو يصيح منبهاً المسافرين إلى ركوب القطار ، وسرعان ماتحركت القاطرة ، محدثة دوياً يصم الآذان ، وأخذت تنفث سحباً كثيفة من الدخان الأسود الخانق . تحمل « ميكي ستروجوف » صابراً ، اهتزاز القاطرة ، بل لقد تمكن من النوم ، لفترة من الزمن ، فى أثناء الليل . وعندما ظهرت أولى خيوط الفجر عند الأفق ، كان

القطار يقترب من مدينة ڤلاديمير. فخرج النقيب « ستروجوف » من مقصورته ، وأخذ يتمشى فى دهليز العربة :

كانت ثمة مفاجأة مذهلة فى انتظاره . . فبينما كان يحاول شق طريقه بين أكوام الحقائب والسلال والأجولة ، سمع خلفه صوتاً مرحاً ، جعله يثب وثبة عالية فى الهواء ، ويطأ بقدميه دجاجة مسكينة ، تصادف مرورها فى اللحظة التى هبط فيها على أرضية الدهليز .

– أخيراً وجدتك يا « ميكى » ! لقد بحثت عنك طويلاً .

وهنا صاح النقيب مذهولاً ، وهو يفرك عينيه ، ليتأكد من أنه لم يكن يحلم ... « ميموشكا » ! ماذا تفعلين هنا ؟

– لحسن الحظ إننى بدأت بحثى عنك فى عربات الدرجة الثالثة ولكن لماذا لم تسافر فى الدرجة الأولى ؟ ولماذا لم ترتد بدلتك الرسمية ؟

فأجابها « ميكى ستروجوف» فى صوت خافت يشوبه القلق وهو يتلفت حوله ليتأكد من أن أحداً لم يسمع كلمات « ميموشكا » الأخيرة : هشت ! إننى أتوسل إليك أن تصمتى .

ثم أمسك بذراعها ، وقادها إلى داخل مقصورته . وبعد أن أغلق الباب ، أخذ يشرح لها الموقف قائلاً :

– إننى مكلف بأداء مهمة حساسة . ولا يجب أن يعرف أحد





أننى ضابط فى الحرس الإمبراطورى . لأحد . . هل تسمعيننى ؟

– أوه ، لقد فهمت ! إنك تقوم بدور جاسوس !

زفر « ميكى » زفرة عميقة وقال :

– استمعى إلى يا « ميموشكا » . سأفسر لك كل شىء فيما بعد . أما الآن ، فيجب أن تتركينى . إنك لاتستطيعين مرافقتى ، وستغادرين القطار فى ڤلاديمير ، ومن هناك تعودين إلى موسكو .

– لن يحدث شىء من ذلك يا « ميكى » . إننى عندما علمت من رسالتك أنك ستعبر جبال الأورال ، قلت لنفسى : هاهى الفرصة التى كنت أحلم بها ، لزيارة صديقتى « كلارابيڤا بيلابيڤا » !

ولكن . .

غير أن « ميموشكا » استطردت غير عابئة باعتراض خطيبها : أنت تعلم جيداً ، أن « كلارابيڤا » تقيم حالياً فى أومسك ، ويالها من منطقة جميلة ! ولذلك سنسافر معاً . . أليس ذلك رائعاً ؟

– رائعاً ! ! . . هل تظنين ذلك حقاً ؟ ! لقد أخبرتك أن هذا مستحيل . إننى فى مهمة خاصة . . ألا تفهمين ؟ ! ! . . أرجوك حاولى أن تدركى موقفى !

– إننى فاهمة ومقدرة موقفك تماماً . وإذا لم ترافقنى حتى أومسك ، فلسوف أعلن أنك لست تاجراً . بل نقيباً فى الحرس





الإمبراطورى !

وهنا فتح باب المقصورة ، وأطل منه أحد الفلاحين برأسه وقد حاول « ميكى » عبثاً إسكات خطيبته ، وهو واثق من أن هذا الفلاح لابد أن يكون قد سمع الحوار فصاح يائساً :

– لقد سمع هذا الفلاح كل كلمة قلناها .

– لايهم ! . . فلا يمكن أن يكون قد فهم ماسمعه . إن فلاحى هذه المناطق لايتكلمون لهجتنا . .

لقد كان « ميكى » على حق ، ذلك لأن الفلاح العجوز كان قد أدرك تماماً معنى ماسمعه . وبادر بنقل هذا الخبر المثير إلى رفيقه فى السفر . وكان فلاحاً خشن المنظر ، ما أن سمع مانقله إليه زميله ، حتى انفجر ضاحكاً وقال :

– وهكذا فقد كنت محقاً ، عندما طلبت منك اقتفاء أثر تلك الفتاة الشابة التى يبدو أنها من أسرة طيبة ، وقد كنت أتساءل عما يمكن أن تبحث عنه فى إحدى عربات الدرجة الثالثة . أما الآن ، فإننا نعرف ذلك . والفضل يرجع إليك يا « مالينكو » مرحى لك ! إن سمعك دقيق مرهف .

– ومن يكون هذا الرجل ؟

– مادام أنه يسافر متنكراً فى زى تاجر بسيط ، فلا بد أنه رسول قيصر فى مهمة خاصة . .





– أتظن ذلك حقا ؟

– أنا واثق من ذلك . ويجب أن أحصل على تلك الرسالة التى يحملها بأى ثمن ... والآن أعرنى سمعك لأشرح لك خطتى !..

ظل الرجل الغريب يتكلم بصوت خافت لبضع دقائق . وبعد أن تم التفاهم على الخطة ، أخذ الرجلان يضحكان فى نشوة بالغة .

وبعد قليل وبينما كان القطار يسرع نحو نهاية الخط فى « نيجنى نوفجورود » تعالت أصوات استغاثة من العربة .

كان « مالينكو » معلقاً فى الفضاء خارج العربة ، وهو يمسك ببابها خشية السقوط . وكان واضحاً أنه إذا أفلتت قبضته ، لكان الموت مصيره ، وبدا الموقف ميئوساً منه .

وتكررت أصوات الإستغاثة : النجدة ! النجدة ! فصاحت « ميموشكا » :

– هل سمعت يا « ميكى » ؟ إن بعضهم يطلب النجدة ! إن الصوت آت من الممر .

– سأذهب لأستطلع الأمر . أما أنت فأبقى هنا ، ولا تتحركى حتى أعود إليك .

اندفع الضابط الشجاع مهرولاً نحو مصدر الصوت ، فشاهد







باب العربة مفتوحاً ، ورجلاً متشبثا به بكل قواه . وما أن لمح الرجل « ميكى » يقترب من الباب ، حتى عاود الصراخ : النجدة ! النجدة !

وهنا عرف « ميكى » ، أنه الفلاح الذى شاهده منذ قليل عند باب المقصورة . ولم يتردد « ميكى » ، فمال بجسمه نحوه ، ومد ذراعه نحو طرف الباب محاولاً جذبه نحوه لإغلاقه ، بينما أخذ الفلاح يناشده متوسلاً : لاتتركنى أسقط ! ! فأجابه « ميكى » مشجعاً :

– تمالك أعصابك يارجل ! سوف أجذبك إلى الداخل .

وفى هذه الأثناء ، تناهى إلى سمع « ميكى » صوت يصيح : أغلقوا هذا الباب ! إنه يحدث تياراً !

كان « ميكى » على وشك الاستجابة لهذا الطلب ، عندما شعر بيد تدفعه خارج العربة . وأسعفه الحظ ، فأمسك بساق الفلاح العجوز ، ولولا ذلك لراح تحت عجلات القطار .

تواردت الأفكار على مخيلة « ميكى » : إن بعضهم قد دفعنى وإذا قدرت لى النجاة ، فسأرغم هذا الفلاح العجوز ، على أن يقدم لى بعض الإيضاحات .

وفى هذه الأثناء خرجت « ميموشكا » من المقصورة مخالفة بذلك أوامر « ميكى » وهى تحدث نفسها قائلة : لقد تأخر فى







العودة . ترى أين هو الآن ؟ إننى لاأراه .

وهنا سمعت أصوات طرقات صادرة من خارج العربة . فأطلت من النافذة ، وندت عنها صرخة مدوية .

كان « ميكى » يتأرجح فى الهواء ، وهومتشبثٌ بساق رجل آخر ، يحاول أن يتخلص من قبضة « ميكى » . وبدون أن تتوقف للتفكير ، وثبت « ميموشكا » نحو جرس الإنذار ، وجذبته بشدة وسرعان مادوى صوت الفرامل ... زييئ ... فاهتزت العربات وتوقف القطار بعد أن زحف عشرات الأمتار على قضبانه وقذف هذا التوقف المفاجئ بالركاب من مقاعدهم ، وتساقطت الحقائب والسلال من فوق الأرفف وخرجت الدجاجات من أقفاصها . وساد العربة هرج ومرج وعلا ضجيج الركاب وتداخل صياحهم وتعليقاتهم . ولو كنت داخل العربة لسمعت الآتى :

– ماذا حدث ؟

– لقد خرج القطار عن القضبان .

– أنت الذى خرجت عن وعيك .

– أين مفتش القطار ؟

– دجاجاتى ! دجاجاتى ! أين دجاجاتى ؟

– أين رئيس القطار ؟

– من الذى وضع هذه الدجاجة فى حقيبتى ؟







– أخرجونى من هذا القفص ! . .

وما أن توقف القطار تماماً ، حتى كان « ميكى » قد وضع قدميه على الأرض . أما الفلاح فلم يجد الشجاعة ليفلت قبضته من باب العربة ، فصاح « ميكى » فيه :

هيا ! اقفز أيها الفلاح ! ... فهناك بعض التفسيرات التى يجب أن تقدمها لى . هيا انزل إلىّ . .وأخبرنى عن أسباب هذه المسرحية . أليس الذى دفعنى من العربة شريكاً لك ؟

– أنا . . .أنا لا أعرف شيئاً ياسيدى الضابط فى الحرس الإمبراطورى .

شعر « ميكى » بالدماء تغيض من وجهه . وقد أيقن أن هذا الفلاح قد سمع كل شىء . ولكنه تمالك جأشه وقال :

– ماهذا الذى تهذى به ؟ أنا لست ضابطاً فى الحرس الإمبراطورى ، بل مجرد تاجر بسيط .

وهنا كان الفلاح قد هبط هو الآخر إلى جوار « ميكى » ، فأحنى رأسه فى احترام وهو يقول . طبعاً ! طبعاً ! واستطرد فى صوت هامس . أعطنى خمسين روبلاً . فلا أبوح بسرك لأحد .

– ها ! ها ! إذن فهو ابتزاز ؟ حذار أيها اللص الحقير ! حذار ! . .

– أوه ! إن سعادة الضابط يظلمنى . يجب على فخامتكم أن

تدركوا أن الحياة أصبحت شديدة القسوة على فلاح مسكين مثلى . . .

– حسنا ، هاهى ذى الخمسون روبلاً ، أيها الماكر الحقير !

وبينما كان الرجلان يتجادلان ، وصل مفتش القطار إلى المقصورة ، التى كانت تشغلها « ميموشكا » ، وسألها :

– لماذا جذبت جرس الإنذار ؟

– أردت إنقاذ خطيبى من الخطر الذى كان محدقاً به .

– خطر ! أحقاً ذلك ؟

– بالتأكيد . لقد كان يحاول إنقاذ أحد الفلاحين وهو يسقط من العربة ، وقد عرض حياته بذلك لخطر جسيم . إن خطيبى رجل شجاع ، وهو نقيب فى الحرس الإمبراطورى ؟

فقال الرجل وقد بدا عليه الارتباك :

– تقولين نقيب فى الحرس الإمبراطورى ! ... مرحى ، مرحى ! إننى أهنئك . ولكن « ميموشكا » قاطعته :

هاهو ذا يصعد إلى العربة . هل تراه ؟ إنه يدعى « ميكى ستروجوف » .

– . . . وهو ضابط فى الحرس الإمبراطورى : هه؟ ولكن ماهذا الزى الغريب الذى يرتديه ؟

– إنه زى تنكرى ، فهو قائم بمهمة خاصة . . ولكن إياك أن





تفوه بكلمة واحدة عن ذلك ، فالأمر غاية فى السرية .

– أحقاً ؟ سأتحرى الأمر .

– هذا هو مايقتضيه واجبك . إن مفتش القطار ، يجب أن يفتش ! هيا ، قم بعملك ! ! .

تقدم المفتش نحو « ميكى » وسأله :

أنت لست ضابطاً فى الحرس الإمبراطورى ، أليس كذلك ؟ أنت التاجر « نيقولا پوتوف » ..

فكر « ميكى » بسرعة : « لقد عادت « ميموشكا » إلى حماقاتها » ثم أجاب .

هذا صحيح إننى أدعى « نيقولا پوتوف » وأنا تاجر . ألا يعجبك ذلك ؟

فقال المفتش محنقا . انتظر لحظة . سترى جزاء من يزعج سلطات السكك الحديدية .

فسأله « ميكى » فى دهشة : ولكنى لم أزعج أحداً !

– كلا . أنا لاأتكلم عنك ، وإنما عن تلك الفتاة الصغيرة التى ابتدعت تلك القصة الخرافية . . .

وما أن أتم الرجل كلامه ، حتى عاد إلى المقصورة ، وبصوت ينذر بالشر صاح : «ميموشكا» : يجب أن تخجلى من نفسك ! . . . فقد هزأتِ بى ، وكذبتِ علىّ ولكن ذلك





سيكلفك كثيراً .

فقالت « ميموشكا » فى أنفة :

– كيف تجرؤ ! لقد ذكرت لك الحقيقة ، وأنا أمنعك من . .

وهنا أدرك « ميكى » ، أنه يجب أن يتدخل :

– دعها تدفع غرامة ، إذا كان ذلك يرضيك ، ولكنى لا أسمح لك بأن تهينها .

احتقن وجه مفتش القطار غضباً ، وأزاح « ميكى » من طريقه ، وهو يقول : اصمت أيها التاجر ! وإياك أن أسمع صوتك !

ولم تتردد « ميموشكا » ، فرفعت مظلتها ، وأهوت بها على رأس المفتش : وهى تقول : يالك من فظ سمج ! هل نسيت أنك تخاطب ضابطاً فى الحرس الإمبراطورى ؟

فهمس « ميكى » متوسلاً : « ميموشكا » أرجوك ! أرجوك اسكتى !

غير أن محاولاته لتهدئة خطيبته باءت بالفشل . . فقد ظلت « ميموشكا » ، تلوح بالمظلة فى الهواء مهددة .

اجتذب هذا النقاش ، عدد من المسافرين وتجمعوا فى الممر يراقبون مايحدث واستطرد « ميكى » قائلاً :





– « ميموشكا » لقد قلت لك ألا . . .

– أجل ، أجل ، أعرف ! لايجب أن أفصح لأى كائن من كان ، بأنك ضابط فى الحرس الإمبراطورى . ولكن هذا الوغد أثار أعصابى . يجب أن يدرك مع من يتكلم ! .

لم يعقب المفتش ، وانفض الجمع من حولهم . وبعد بضع ساعات ، وصل القطار إلى محطته النهائية فى « نيچنى نوفجورود » . وإذا بمفتش القطار يستدعى اثنين من الحراس المخصصين للمحطة ، وأمرهما باقتياد « ميكى » و « ميموشكا » إلى مخفر الشرطة القريب من المحطة لاستجوابهما . وكانت جموع المسافرين يشاهدون هذا المنظر وهم فى دهشة وفضول ، فى حين تناقلت فيما بينهم شتى التعليقات :

يبدو أنه نقيب فى الحرس الإمبراطورى !

– بهذا الزى ؟ كلا ! كلا ! لابد أنه مهرب !

– آه ! إن الزوجين يليق كل منهما بالآخر . إنهما من المغامرين الخطرين . لقد كانا يريدان إخراج القطار عن القضبان .

– لعله هو الذى سرق دجاجتى !

وفى هذه الأثناء ، كان الفلاحان قد غادرا القطار ، واختلطا بالجماهير ، حتى تمكنا من مغادرة المحطة . وبينما هما فى الطريق





يبحثان عن مقهى ، قال الرجل الذى يبدو أنه الزعيم :

– من المؤسف أن خطتنا قد فشلت . لقد أفلتت منا فرصة التخلص من رسول القيصر .

– إنه رجل عنيد . إنك لاتستطيع أن تتصور ، كيف كان ممسكاً بساق بقوة ، لقد خيِّل إلىّ أنه سينتزعها من جسمى .

– متى انتهى رجال الشرطة من تحقيق هويته ، فسوف يطلقون سراحه ، ليعود فيستأنف رحلته . ويجب أن أحصل على الخطاب الذى يحمله مهما كان الثمن .

وصل الرجلان إلى أحد المقاهى ، وجلسا يحتسيان كأسين من المشروبات الرديئة ، بينما استطرد الزعيم قائلاً :

– إن « ميكى ستروجوف » لم يلتق بى أبداً طوال مدة خدمتى بالجيش الإمبراطورى . ولذلك فهو لن يستطيع أن يتعرف فىّ على الكولونيل « ماسكارا نجرينسكى » . ها ! ها ! ها ! إن كل أوراق اللعبة فى يدى . هيا بنا يا « مالينكو » ، ولنستعد للعمل فوراً ، بمجرد أن تسنح لنا الفرصة .

وفى هذه الأثناء ، كان « ميكى » و « ميموشكا » قد وصلا إلى مكتب الشرطة ، فأعمل « ميكى » تفكيره ، ونظر إلى رئيس الشرطة ، وقال :

– انظر إلى جواز مرورى هذا ! . . إنه ممهور بتوقيع الجنرال





« كيريلوف » نفسه . أليس هذا هو توقيعه ؟

فصاح رئيس الشرطة : يا إلهى إنه توقيعه فعلاً . ثم رفع رأسه ، وأخذ ينظر إلى هذا التاجر البسيط نظرة احترام ، وهو يقول لنفسه لابد إنه ذو أهمية خاصة ، جعلت مدير الشرطة الإمبراطورية ، يوقع بنفسه على جواز مروره .

أما « ميموشكا » التى لاتستطيع صبراً على الكلام ، فقد التفتت إلى « ميكى » وقالت :

– لماذا لاتصرح بحقيقة شخصيتك ؟ لماذا لاتصارح رئيس الشرطة ، بأنك رسول القيصر ، وبأنك موفد منه فى مهمة خاصة ؟

انفجر « ميكى » غاضباً . ألا تلتزمين الصمت لمرة واحدة فى حياتك ؟ أرجوك وإلا . .

– ولكننا نستطيع أن نثق برئيس الشرطة ، فليس هو بالرجل الذى سيقول للناس بأن التاجر « نيقولا بوتوف » هو نفسه النقيب « ميكى ستروجوف » . أليس كذلك ياسيدى الرئيس ؟

بدت الحيرة على وجه رئيس الشرطة ، وأجاب بلاتفكير :

– أجل ، بالتأكيد ! . .

– والآن هل اقتنعت يا « ميكى » ؟ لم يكن هناك مايدعوك للقلق .

لم يجب النقيب « ستروجوف » ، وحاول جاهداً أن يسيطر على الغضب الذى كاد يفقده صوابه .

نظر إليه رئيس الشرطة وقال :

هاك جواز مرورك أيها النقيب أنتما حران ، أنت وخطيبتك .

– شكراً ! ! . .

– أوه ! أرجو أن تبلغ تحياتى إلى الجنرال « كيريلوف » عندما تراه !

– سأفعل ياسيدى الرئيس .

وعندما خرج الاثنان إلى الطريق ، أخذ « ميكى » يؤنب « ميموشكا » تأنيباً قاسياً :

– لقد ضقت بك ذرعاً . إن تصرفاتك الصبيانية الحمقاء هذه يجب أن تتوقف . . إننى أمنعك من أن تعلنى على الملأ أننى رسول القيصر . . . مفهوم ! ! . .

– كم أنت ظالم ! إننى لم أقل سوى الحقيقة لكى أجنبك المتاعب . وبفضلى أمكنك التخلص منها . وإذا كانت هذه هى طريقتك فى شكرى ، فإننى سأعود إلى موسكو بأول قطار .

فصاح « ميكى » مهللاً : يالها من فكرة رائعة !

– كلا . إننى سأواصل رحلتى . ولكننى لن أكلمك بعد ذلك .



لم يشأ « ميكى » أن يستأنف النقاش ، وواصل الاثنان طريقهما فى صمت إلى أن بلغا مطعماً راق لهما مظهره ، فألقى « ميكى » نظرة على قائمة الطعام المعلقة على الباب ، وقال مخاطباً خطيبته :

– فلنتصالح ، وليقتصر تفكيرنا الآن على ماتملأ به بطوننا الخاوية فإننى أكاد أموت جوعاً . هيا بنا ولنطلب وجبة شهية !

٤

فى صباح اليوم التالى ، وصل « ميكى ستروجوف » وخطيبته « ميموشكا ميميشكوفا » إلى المرفأ النهرى ، وأرادا أن يشتريا تذاكر للعبور .

كانت السفينة النهرية « القوقاز » سفينة تجارية قديمة ، تقوم بنقل الركاب والبضائع من شاطئ إلى آخر .

– صاح ميكى :

هاهى ذى « القوقاز » إنها ستنقلنا سريعاً إلى « برم » .

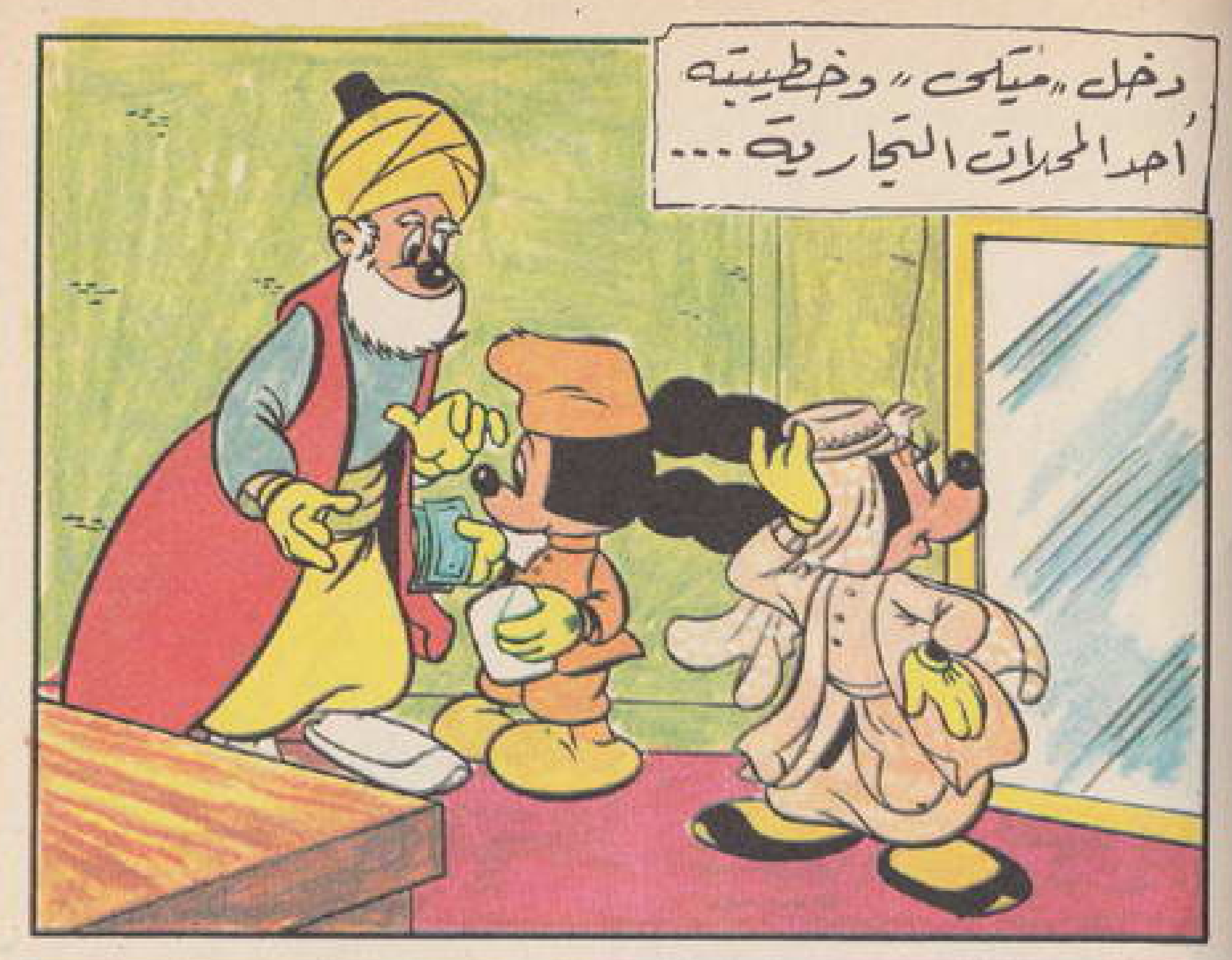
فسألته « ميموشكا » : وأين تقع برم ؟

– على الشاطئ الآخر . ستسير بنا السفينة فى نهر الفولجا حتى كازان . ومن هناك نصل إلى « الكاما » .

– وما هو « الكاما » ؟









هو أحد روافد نهر الفولجا .

يا إلهى ، «ياميكى » . . إنك تحفظ الجغرافيا عن ظهر قلب ! إنك حقا واسع الثقافة . . .

أجاب « ميكى » فى تواضع : لاتبالغى كثيراً ! . إننى لم أحصل إلا على الشهادة الأولية لرتبة النقيب . .

وهنا كان « ميكى » و « ميموشكا » يتقدمان فوق المعبر ، عندما استوقفهما أحد الجنود :

– قف ! ممنوع المرور !

– ممنوع المرور ؟ مامعنى ذلك ؟

– معناه ممنوع المرور . . . إن أوامر الحاكم صريحة . وهى معلنة على لوحة على الرصيف . يمكنكما قراءتها .

فاتجه الشابان نحو اللوحة التى أشار إليها الجندى . وقرأ « ميكى » بصوت عال :

تجنباً للمواطنين من العبور إلى المناطق
التى أغار عليها التتار ، يمنع منعاً باتاً
إبحـار المواطنين الروس إلى كازان .

صاحت « ميموشكا » : يالها من أوامر تدل على الغباء ! ! إننى أريد زيارة « كلاراييفا » . ولن يمنعنى عن ذلك حاكم مقاطعة صغير .



– نعم ! . نعم ! . وأنا أيضاً يجب أن أوصل الرسالة التى معى إلى شقيق الإمبراطور .

– الحق معك ، فأنت رسول القيصر ! هيا اتبعنى ! سنخبر قبطان « القوقاز » بذلك .

فصاح « ميكى » فى غضب ، وقد نفذ صبره : كفى ! ... ها أنت ذى مرة ثانية تريدين أن تعلنى سرى على الملأ .

– حسناً ، حسناً . أنا لم أقل شيئاً لأحد . ولكن خبرنى كيف ستصل إلى « برم » ؟ إن هذا الجندى لن يسمح لك بالمرور .

– إن مجرد الاطلاع على جواز مرورى ، كفيل بأن يفتح أمامى كل الطرق والأبواب المغلقة ! . .

– ولكن ماذا عنى أنا ؟ لا أعتقد أنك ستتركنى على هذا الشاطئ من الفولجا ؟

– كلا . . اطمئنى ! لقد واتتنى فكرة . ولكن أرجو أن تنسى أننى النقيب « ستروجوف » ! أنا الآن التاجر « نيقولا پوتوف » . فحسب . .

قال « ميكى » ذلك وقاد خطيبته إلى أحد المحال التجارية القريبة من المرفأ ، حيث اشترى بعض الحاجيات . وبعد فترة قصيرة ، كان مظهر « ميموشكا » قد تغير تماماً . لقد قايضت الملابس التى كانت ترتديها ، بالزى الذى ترتديه النساء المسلمات المحجبات .

وبعد أن خرجا من المتجر . اتجها ثانية نحو رصيف الإبحار ، وقد أوضح «ميكى» لخطيبته تفاصيل الخطة التى سيتبعانها .

– لا جدال فى أنك جميلة يا « ميموشكا » ، ولكن لاتنسى أنك منذ الآن ، لست سيدة روسية ، بل مسلمة من تركستان . اسدلى إذن النقاب فوق وجهك ، وتقدمى إلى السفينة بمفردك ! إن أمر الحاكم لم يعد يسرى عليك .

– ولكن ألن تحضر معى ؟



– لن نستطيع الإبحار معاً ، فإن ذلك سوف يثير الشبهات والشكوك من حولنا . إن المواطن الروسى ، لايرافق امرأة مسلمة . أما أنا ، فسأستخدم جواز مرورى ، ثم نلتقى فوق ظهر السفينة . فإلى الملتقى قريباً .

– إلى الملتقى يا « ميكى » !

افترق الشابان ، وتقدما إلى الرصيف من جهتين مختلفتين . وعندما مر « ميكى » أمام اللوحة التى تحمل إعلان الحاكم ، أعاد قراءتها ، ثم غمغم قائلاً :

هيه ! هيه ! الواقع إن هذا الأمر يخدمنى . فإذا كان المواطنون الروس ممنوعين من مغادرة البلدة والعبور إلى الشاطئ الآخر ، فإن الغريبين اللذين اعتديا على ، لن يتمكنا من متابعتى ! . . . الحمد لله . . لقد تخلصت منهما أخيراً !

تمهل « ميكى » قليلاً وقد استغرق فى التفكير : ولكن ! . .من يؤكد لى أنهما لن يتنكرا ، كما فعلت « ميموشكا » ! إن أى راكب على ظهر السفينة قد يكون أحدهما ! لذلك يجب أن أكون شديد الحذر ، يقظاً ، إلى أن أصل بالرسالة إلى الأرشيدوق .

وعلى سطح السفينة ، كان هناك موظفان صينيان يتمشيان ..



٥

ظلت السفينة « القوقاز » تنساب فوق مياه « الفولجا » الهادئة ، بضع ساعات .

لم يكن عدد المسافرين عليها كبيرا ، وقد تجمعوا عند مقدمة السفينة . كان معظمهم من الفلاحين ، وكان الرجال يرتدون قمصاناً ملونة ، وقلنسوات من الفراء ، أما النساء فكن يرتدين الإزار التقليدى الفضفاض ، ويضعن خماء فوق الرأس . كان الجميع يثرثرون فى بهجة وسرور ، ويعلقون تعليق الخبراء على مرور أسراب البط البرى .

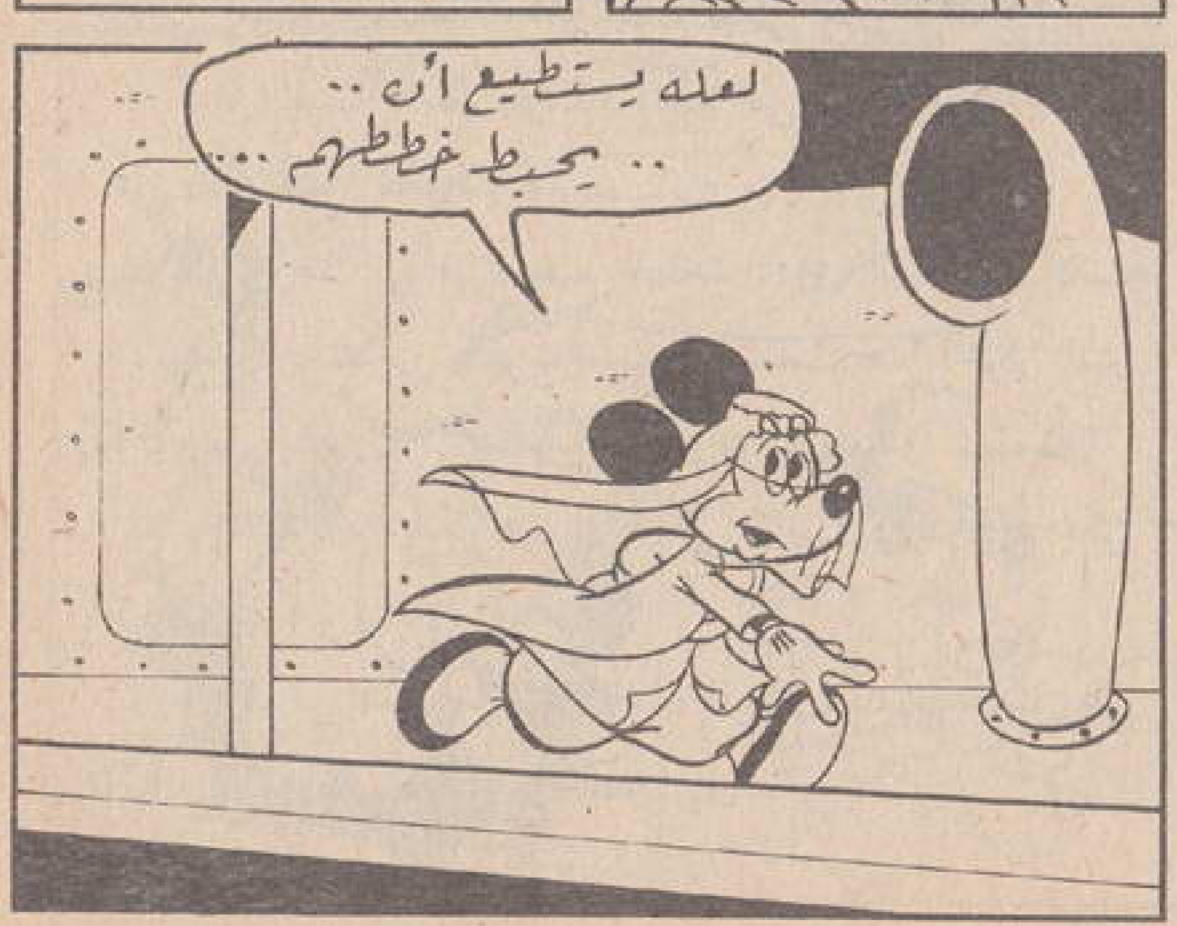
كانت « ميموشكا » تجد الرحلة مملة . ولكنها كانت سعيدة بالسفر . وأخذت تتجاوب مع اهتزازات السفينة .

أما « ميكى ستروجوف » ، فكان يشعر بالقلق . وكان اهتمامه منصباً على محاولة الكشف عن أعدائه المجهولين بين المسافرين .

ولم يخطئ إحساس « ميكى » . إن أعداءه لم يتراجعوا أو يكفوا عن متابعته . والواقع أنهما صعدا إلى ظهر « القوقاز » . وقد تنكرا فى زى اثنين من كبار الموظفين الصينيين . وفى تلك اللحظة ، كانا يتمشيان فوق سطح السفينة وهما يتهامسان . قال أكبر الرجلين :







– ياعزيزى « مالينكو » ، إن القوانين توضع لكى يفسرها كل حسب هواه لقد كنا مواطنين روسيين . أما الآن ، فنحن مواطنان صينيان . أنا موظف كبير أدعى « شوب سيوى » ، وأنت « بو – لى » سكرتيرى الخاص .

– هىء ! هىء ! هىء ! إن مهارتك تفوق الشيطان ، ياكولونيل « نجرينسكى » . لم أكن أتصور أننا نستطيع مغادرة « نيجنى نوفجورود » بمثل هذه السهولة . ويجب أن أعترف بأن فكرتك لم تكن لتخطر لى على بال . . .

– ذلك لأنك مجرد من سمات المكر والذكاء يا « مالينكو » . ولكن انظر ! إنه هو ! هذا هو « ميكى ستروجوف » ! .

كان النقيب « ستروجوف » متكئاً على « درابزين » السفينة على بعد بضع خطوات منهما . . .

ظل الرجلان يراقبانه بضع لحظات ، وفى أثناء ذلك كانت « ميموشكا » تتمشى بالقرب منهما ، فسمعت هذا الحوار الذى كان يدور بينهما : إن صديقنا « ستروجوف » يبدو مهموماً !

– لابد أنه يفكر فى الفتاة التى كانت برفقته . لم يكن باستطاعتها أن تتبعه .

– إنه لن يفلت من أيدينا هذه المرة ! لابد أن نحصل على رسالة الإمبراطور قبل ، أن يصل إلى « برم » .



كانت الساعات التالية تتسم بالهدوء . . .



– ومتى حصلنا على الرسالة ، نكون قد وصلنا إلى اليابسة ، وعندئذ نستطيع أن نصل إلى جبال الأورال فى أسرع وقت .

تملك « ميموشكا » ، ذعر شديد . . فحياة خطيبها فى خطر ، وقالت لنفسها : يجب أن أحذره حالاً . فإنه إذا ماعرف بوجود أعدائه على سطح السفينة ، استطاع أن يحبط خططهم .

اتجهت ميموشكا . . نحو « ميكى » وهمست له بما سمعته من الرجلين غير أن « ميكى ستروجوف » ، بدلاً من أن يبدى اهتمامه بما روته له ، أخذ يتلفت حوله فى قلق وهو يطلب منها ألا ترفع صوتها . خشية انكشاف أمرها ، وطلب منها أن تبتعد عنه .

ولكن « ميموشكا » قاطعته قائلة : لقد جئت لأحذرك من الخطر الذى يحدق بك ، وبدلاً من أن تشكرنى ، تطلب منى أن أتوارى ! ؟

– لاخوف على الآن ياعزيزتى . . . إنهما لن يجرؤا على مهاجمتى قبل أن نصل إلى « برم » . ومع ذلك سأحترس منهما . . . فلا تقلقى !

– من تظنهما هذين الصينيين ؟

– إنهما روسيان ولاشك .

– أهذان الصينيان روسيان ؟ !

– نعم وقد تنكرا على هيئة الصينيين . ومن المحتمل أنهما



نفس الوغدين اللذين حاولا إلقائى من القطار

– وما الذى ستفعله يا « ميكى » ؟

– لاشىء الآن سوى الانتظار . إنهما لايزالان يجهلان وجودك على سطح السفينة . ولذلك يجب أن تجتهدى فى التحجب بقدر الإمكان ! والآن إلى الملتقى !

– إلى الملتقى يا « ميكى » !

وفى صباح اليوم التالى ، سمع الركاب صوت صفارة السفينة مؤذنة بقرب الوصول إلى « برم » .

كان « ميكى » قد غادر قمرته عند الفجر ، وجلس على السطح وسط الركاب ، إذ كان يعلم أن عدويه لن يتأخرا عن التحرك ، فآثر ألا يبقى منفرداً .

ظل الصينيان المزيفان يراقبان النقيب « ستروجوف » بعض الوقت وهما حانقان لهذا التطور فى الأحداث .

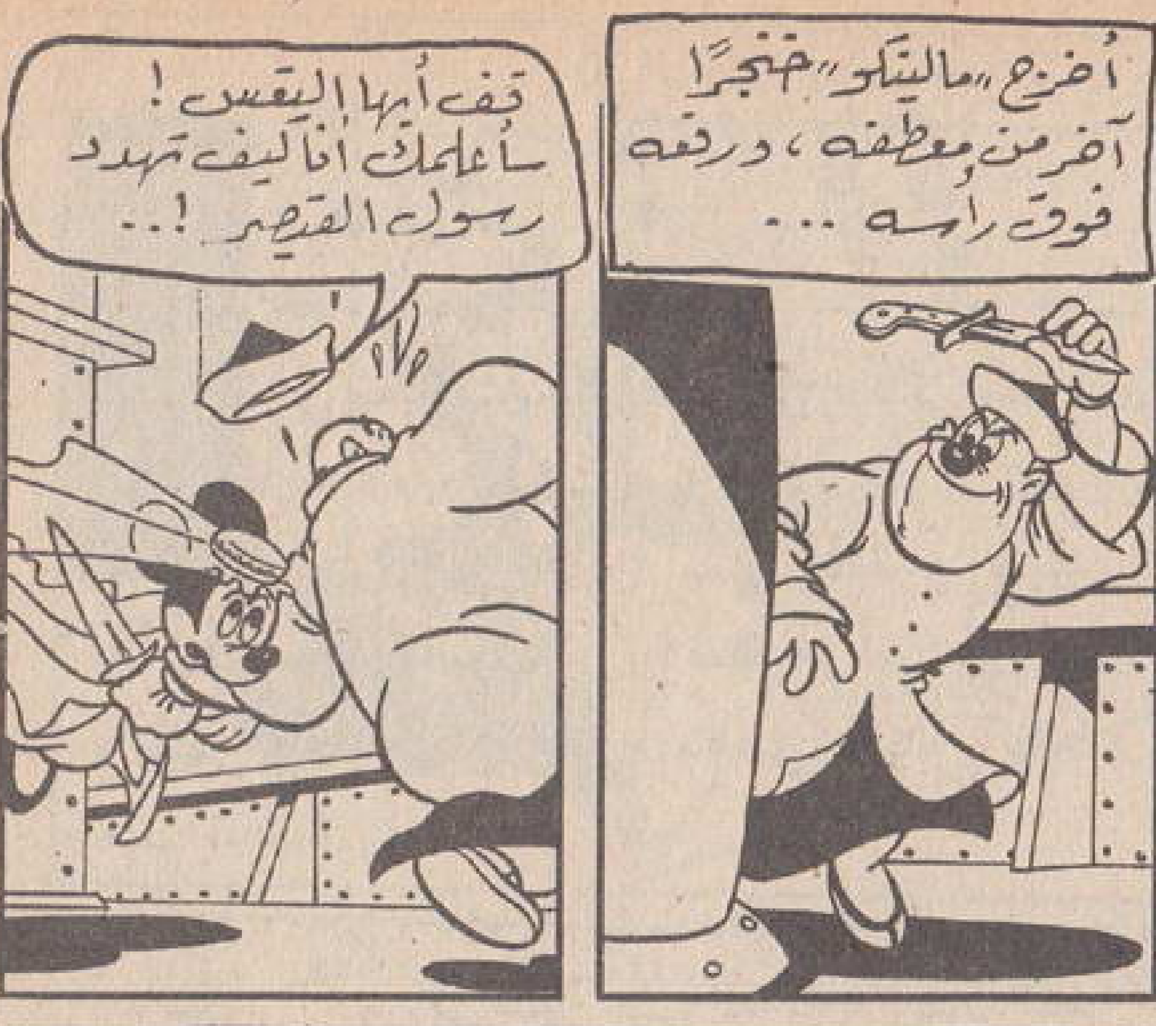
قال « ماسكارا نجر ينسكى » لزميله : إننا لن نستطيع أن نهاجمه هنا . يخيل إلىّ ، أن هذا الماكر الصغير قد أدرك نوايانا !

– ماالذى سنفعله أيها الزعيم ؟

– يجب أن نضطره للعودة إلى قمرته ، وننتظره بها . .

– يالها من فكرة جهنمية !

– لقد تفتق ذهنى عن خطة بارعة ! أنت يا « مالينكو » من





أمهر قاذفى الخناجر ، عليك إذن بإظهار مهارتك !

— آه ، فهمت !

وبعد لحظة ، انطلق خنجر فى الهواء ليستقر داخل خشب السفينة ، على بعد سنتيمترات من رأس « ميكى » . الذى أذهلته المفاجأة ، وأخذ يتلفت حوله فى كل اتجاه . . ترى أين يختبئ هذا المعتدى الخفى الجبان ؟ إنها أول هدية من الصينيين ! والآن ماالعمل؟ قد يكون من الأفضل أن أعود إلى قمرتى ، وأحكم إغلاق بابها علىّ ولكن . . ماالعمل إذا كانا يتربصان بى خلف الباب ؟

تردد « ميكى » بعض الوقت . وعلى بعد أمتار منه ، كان « مالينكو » يراقبه وهو متوار خلف المدخنة ، ويقول لنفسه : هيه . . هيه ! . . إن صاحبنا لايبدو عليه الاقتناع : فهو مايزال متردداً . ولكنه إذا رأى خنجراً ثانياً إلى جواره ، فلاشك فى أنه سيهرول عائداً إلى قمرته . وهنا رفع الشقى خنجره وتأهب لإلقائه ، وإذ « بميموشكا » تبرز فجأة ، وتتعلق فى استماتة بذراعه لتمنعه وأخذت تصيح متوعدة . كف أيها التعس ! إننى سأعلمك كيف تجرؤ على تهديد حياة رسول القيصر !

كان « ماسكارا تجرينسكى » مختبئاً فى مكان قريب ، فاستطاع أن يسمع صرخات « ميموشكا » ، وغمغم فى ذهول :





«ياللشيطانة!» كيف استطاعت هذه السيدة المسلمة ، أن تعرف أن التاجر «بوتوف» هو النقيب «ستروجوف» ؟

وفجأة شاهد قبطان السفينة يهرول على صرخات «ميموشكا» ، ويصيح : ماالذى يجرى هنا ؟

– أيها القبطان ! أقبض على هذا الوغد ! لقد حاول قتل رسول القيصر !

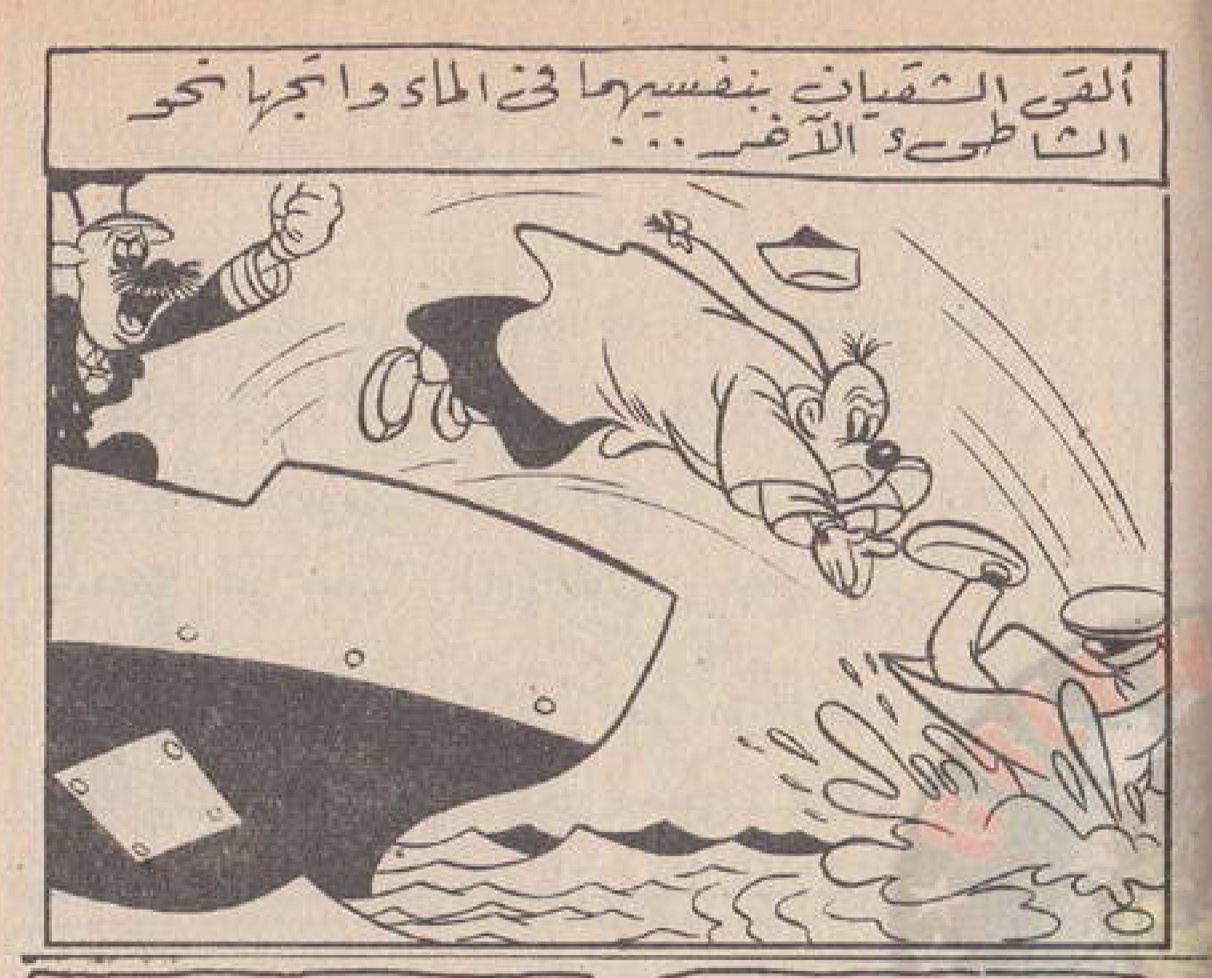
– ماذا تقولين ؟ ! هل يوجد على ظهر سفينتى رسول للقيصر ؟ ! . . ودون أن ينتظر الإجابة عن تساؤله ، هرول عائداً ليطلق الإنذار بالخطر. أما «ميموشكا» . فقد ظلت متعلقة بذراع «مالينكو» . الذى أخذ يحاول عبثاً الإفلات منها . وهو يصيح : اتركينى أيتها المرأة ! دعينى !

وهنا اضطر «ميكى» إلى التدخل لمساعدة خطيبته ، فانتزع الخنجر من يد الشقى ، وأمسك بذراعه بقوة ، بينما أخذت «ميموشكا» تنهال بقبضتيها فى ضربات جنونية فوق رأس الرجل .

– كفى ، كفى ! لاتضربينى ! إنى أستسلم !

– كلا ! . إننى واثقة من أنك لن تستسلم .

لم يستطع «ماسكارا نجرينسكى» كبح جماح غضبه ، وتمتم قائلاً : ان «ستروجوف» اللعين لشديد البأس ! يجب أن أحول



دون القبض على « مالينكو » بأى ثمن ، فهو إن تكلم ، قضى علىَّ .

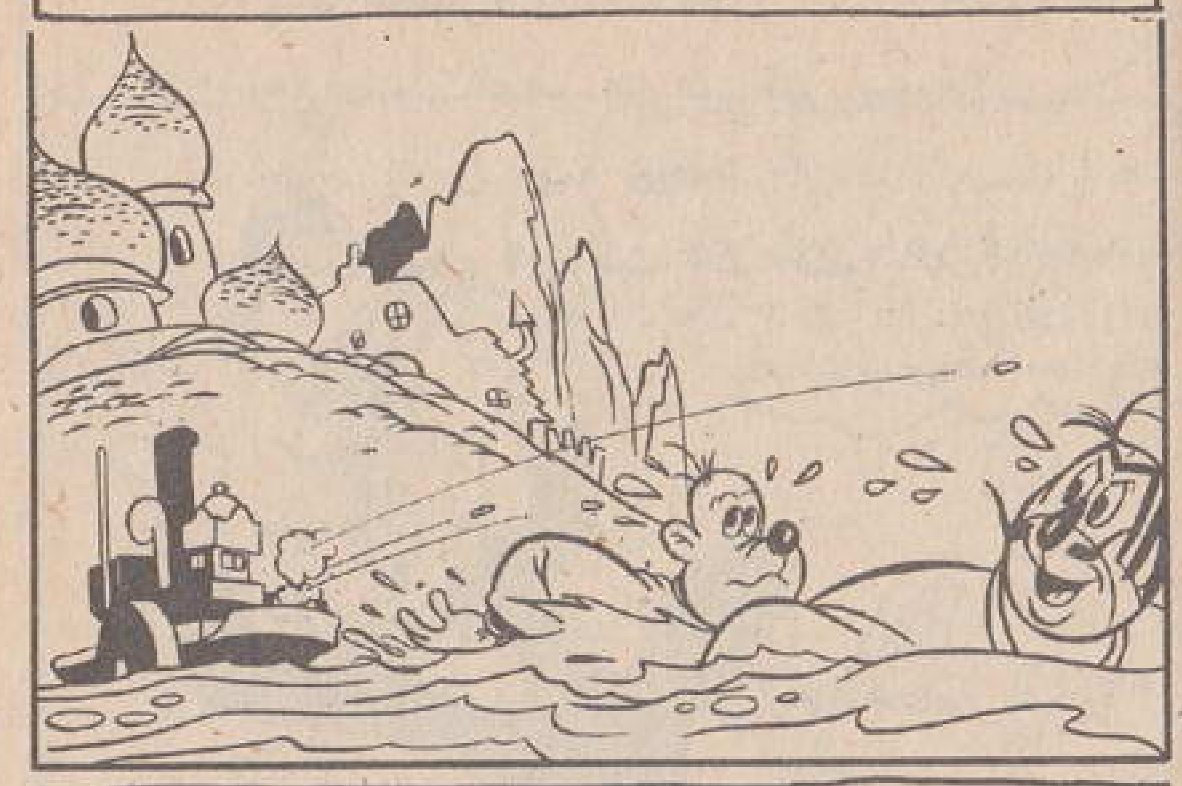
تناول « نجرينسكى » مصباحاً ضخماً من مصابيح الإشارة ، وقذف به بشدة ، فأصاب « ميكى » فى مؤخر رأسه ، وألقى به أرضاً فاقد الوعى . وسرعان ماتركت « ميموشكا » الشقى ، واندفعت نحو خطيبها ، وهى تقول فى لهفة :

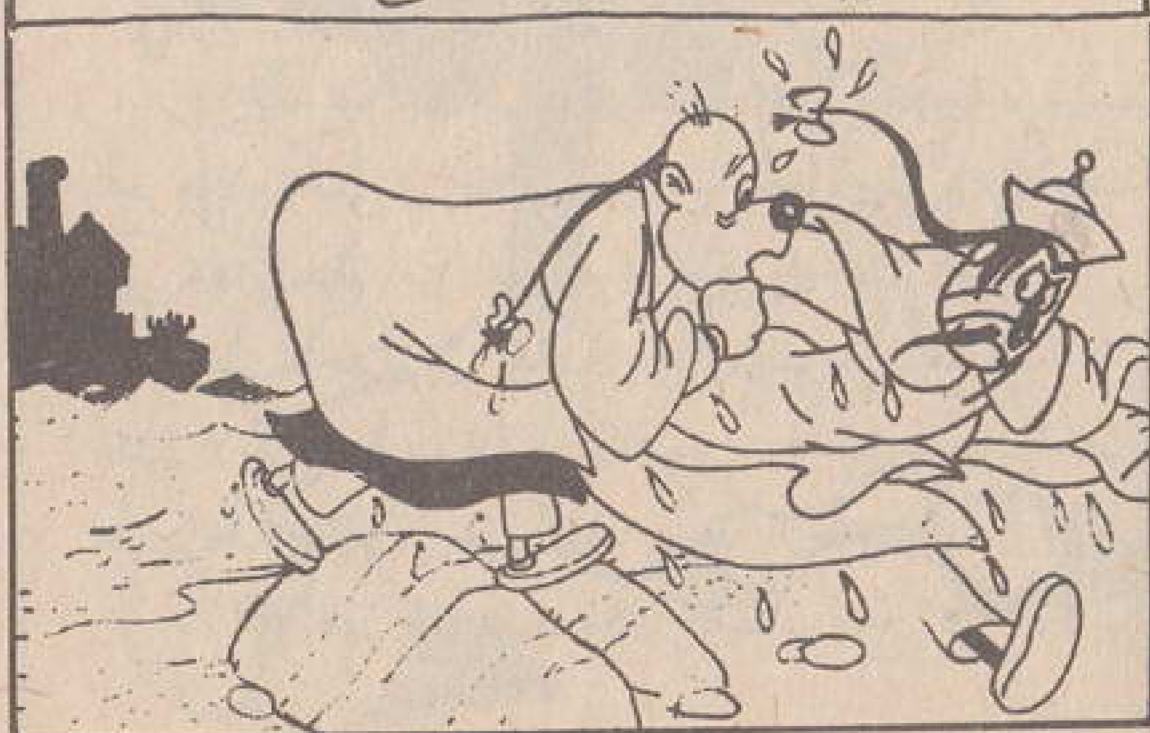
— « ميكى » ! « ميكى ! » أجبنى هل يؤلمك رأسك ؟ . . أتريد قرصاً من الأسبرين ؟ ولكن « ميكى » لم يجب . وفى هذه الأثناء ، هرع عدد من البحارة نحو ميدان المعركة .

صاح « ماسكارا نجرينسكى » فى غضب . بحق الشيطان لم يعد لدى من الوقت مايسمح بسرقة رسالة الإمبراطور . هيا يا « مالينكو » ، وأسرع إلى الماء . لم يعد أمامنا مخرج . .

وسرعان ماألقى الشقيان بنفسيهما فى النهر ، وأخذا يسبحان نحو الشاطئ .

ساد المكان الهرج والمرج ووقف القبطان يلقى بأوامره إلى البحارة : أطلقوا النار عليهما . إنهما جاسوسان . من جواسيس « بات هيبول خان » ! هيا ، اقتلوهما ! لقد أرادا قتل رسول القيصر .





– رسول القيصر !

– وهل رسول القيصر هنا على ظهر السفينة ؟

– أجل ، إنه فى مهمة خاصة .

– ماهذه الفوضى ؟ ! قلت لكم أطلقوا النار ! كلا ! . أنزلوا قارباً والحقوا بهما ! .

– ومن ينزل ؟

– لقد عثرت على بندقيتى !

– أطلق النار أيها الغبى !

– لا أستطيع ياسيدى القبطان . . . لاتوجد معى ذخيرة !

بيد أنه عندما دوى صوت أول طلقة ، كان الشقيان قد ابتعدا عن مرمى النار :

قال « ماسكارا نجرينسكى » :

– الحمد لله ! . . . لقد نجونا ! .. نجونا بأعجوبة ، بسبب تأخر هؤلاء الحمقى فى إطلاق النار . إنها لمعجزة حقاً ... إن سفينة بمثل هذا الطاقم من البحارة لم تغرق إلى الآن ! . .

وصل الرجلان إلى اليابسة خائرى القوى . ومع هذا كان عليهما الإسراع بالهرب قدر استطاعتهما . . فأخذا يسرعان الخطى نحو داخلية الإقليم . حتى يختفيا وسط الزحام . . .

أما على ظهر السفينة ، فكان القبطان يتابع كل حركاتهما



بمنظاره . وأخيراً صاح بالبحارة : «كفوا عن إطلاق النار ! لقد هرب الجاسوسان» .

استرد « ميكى » وعيه . واستطاع أن يتابع حالة الذعر والفوضى التى عمت سطح السفينة . لقد أيقن أن طاقم السفينة يفتقر إلى الكفاءة ، ولم يكن رأى القبطان فى هذه اللحظة ليختلف عن رأى « ميكى » .

اقترب القبطان من« ميكى » وهو مطأطئ الرأس خجلاً وقال :

- سيدى ! إننى . .إننى . فى الواقع لشديد الأسف . لو كنت أعلم حقيقة شخصيتك ، لاستطعت أن أهيئ لك الحماية الكافية .

- لم يكن بإمكانى إخبارك ، وأنت تعلم أن رسل القيصر يسافرون دائماً متنكرين . فلا داعى للشعور بالذنب . . .

ومرة أخرى انكشفت شخصية « ميكى ستروجوف » وإذا استمر الأمر على هذا المنوال ، فإن مهمة « ميكى » لابد أن تفشل تماماً . إن الأمر يستدعى إسكات « ميموشكا » بأى ثمن !

كان ميكى يشعر بالقلق ،خوفاً من ثرثرة « ميموشكا » واندفاعها ولكن ماحدث بعد ذلك لم يكن بسببها . . . فإن القبطان لم يستطع أن يخفى مشاعره ، فأخذ يصيح : هيا ياأولادى

نهتف معا تحية لرسول القيصر ! هيا !

ودوى صوت يصم الآذان :

– **يعيش ! رسول القيصر ! . . .**

كانت « ميموشكا » تشعر بسعادة غامرة ، فإن الإعجاب الذى أثاره خطيبها ، فى كل مكان تحل به ، كان يشبع غرورها .

فلاتنى تقول لنفسها : كم أنا سعيدة ومحظوظة ! ! . . إننى سأصبح زوجة لرسول من رسل القيصر . وسوف يحمل رسائلى أنا أيضاً .

أمعن القبطان فى تودده . فاستدعى إليه أكثر رجاله ضخامة وقوة وغباء . وألقى إليه أوامره قائلاً :

– « إيجور » ! إنى أكلفك السهر على سلامة النقيب « ستروجوف » حتى وصولنا إلى « برم » ! هل فهمت ؟

– أجل ، ياسيدى القبطان ! . .

كان « ميكى » هو الشخص الوحيد الذى لم يشارك فى هذا الابتهاج فقد ظل ساهماً مكتئباً . وغادر مكانه على السطح ، فأسرعت « ميموشكا » باللحاق به ، ضاربة بشخصية المرأة المسلمة القادمة من تركستان عرض الحائط .

–والآن يمكنك أن تطمئن يا « ميكى » ! فإنك فى حراسة قوية .







– أما أنت فأكبر مصيبة فى كل البلاد الروسية. إننى لاأفهم كيف تذيعين على الملأ أننى رسول القيصر، بينما لم أكن معرضاً لأى خطر؟ ألا تدركين أنك بذلك تتسببين فى فشل مهمتى؟

– لك كل الحق. أرجو أن تصفح عنى!.

– لقد فعلت ذلك مائة مرة يا «ميموشكا»!

– أجل، أعرف ذلك... ولكننى فقدت القدرة على التفكير، عندما رأيت الشقى الصينى المزيف وهو يسدد خنجره نحوك.

– حسنا، فلنكف عن التحدث فى ذلك. ولكن أرجو من الآن فصاعداً، أن تكونى شديدة الحذر.

وبعد ساعة كانت «القوقاز» تدخل ميناء «برم». وكان «ميكى» و«ميموشكا». أول من عبرا الجسر الخشبى الموصل إلى الشاطئ.

ولكن «ميكى ستروجوف» لم يتمكن، من التسلل خفية، فقد تقدم «إيجور» ليقف أمامه ويضم كعبيه فى عنف ويلقى إليه بالتحية العسكرية، وهو يعلن بصوت جهورى: إننى لسعيد جداً أن قمت بحراستكم حتى الآن، أيها النقيب رسول القيصر!

شعر «ميكى» بأنه على وشك مواجهة كارثة جديدة، فبادر بجذب ذراع «ميموشكا» وأخذ يستحثها للإسراع.

غير أن محاولته هذه جاءت متأخرة . فقد سمعت الجماهير ماقاله « إيجور » . وسرعان ماأخذت تجرى وراء « ميكى » وهم يشيرون إليه بأصابعهم . وصاح أحد الفلاحين :

– هل سمعتم ؟ يوجد فى « برم » نقيب رسول للقيصر !

– هذا هو ! إنى أعرفه ... هو بالفعل رسول القيصر وبرفقته سيدة مسلمة !

– ليست مسلمة حقيقية ! . .

– إنه رسول مزيف !

– كلا بل هو رسول للقيصر حقاً ! وأخذت التعليقات تتناثر من كل صوب ، ولكن ، من بين كل التعليقات كانت عبارة « رسول القيصر » تسمع بوضوح . أحس « ميكى ستروجوف » معه أنه سيفقد صوابه . ولكن لحسن حظه بدأت الجماهير تمل هذه المظاهرة . وأخذت تنفض من حولهما إلى أن وجد الشابان نفسيهما منفردين . وهنا قال « ميكى » فى صوت تشوبه رنة من اليأس : اسمعى يا « ميموشكا » ! لقد قررت أن أعود إلى موسكو . وسأطلب من القيصر أن يوفد رسولاً آخر بدلاً منى !

– إياك والإقدام على هذه الحماقة يا « ميكى » ! . . . إن ما تحتاج إليه الآن هو شيء من الراحة . ها هو ذا فندق ، فهيا بنا إليه ! !

لكى تصل إلى « أوديسك » ، لابد لك من مركبة ، أليس كذلك ؟ حسنًا ، سأركب أنا وتكون أنت الحوذى !.



دخل الشابان الفندق وطلبا حجرتين مستقلتين ، ودونا البيانات الخاصة بهما فى سجل الفندق ، وقد وقّع « ميكى » باسم « نيقولا پوتوف » على سبيل الحذر ، أما « ميموشكا » فقد وقعت باسمها الحقيق .

وما إن استقر « ميكى » فى حجرته ، حتى اغتسل وطلب قدحا من الشاى . بينما ذهبت « ميموشكا » فى جولة بالمدينة وابتاعت بعض المشتريات . وتوجهت فور عودتها إلى حجرة خطيبها وهى ترتدى ثوباً جديداً أنيقاً وما أن رآها « ميكى » حتى صاح معجباً : ها قد عدتِ موسكوفية جميلة ! .

– وقد فكرت فيك يا « ميكى » فاشتريت لك ذقناً مستعارة من أحد المحلات التى تبيع الملابس المسرحية .

فتحت « ميموشكا » حقيبتها ، وأخرجت منها كتلة من الشعر وقدمتها لخطيبها وهى تقول : هيا ، جربها ! أريد أن أعرف ماإذا كانت تناسبك . لقد اخترتها من طراز « رسول القيصر » .

– ولكن ، لماذا تريدينى أن أضع ذقناً مستعارة ؟ !

– سأوضح لك الأمر : فلكى تذهب إلى « أومسك » ، لابد لك من مركبة خفيفة وسريعة ، سأكون أنا السيدة المسافرة بالمركبة ، وأنت الحوذى ! من ذا الذى يستطيع أن يتعرف عليك ، وأنت فى هذا الزى التنكرى ؟





كانت « ميموشكا » شديدة التحمس لفكرتها . فاستطردت :

– إن أحداً لن يستطيع القول بأن رسول القيصر قد غادر « برم » . هيه ! . . . ماهو رأيك فى هذه الخطة ؟ ! ! . .

– الواقع أنها فكرة جميلة .

وعلت الابتسامة وجه « ميكى » وهو ينظر فى المرآه ويتأمل هيئته بتلك الذقن المستعارة ، واستطرد قائلاً : مرحى يا « ميموشكا » ! والآن يجب أن ننام . إن الطريق أمامنا فى الغد سيكون طويلاً وشاقاً .

٦

فى صباح اليوم التالى ، غادرت « بِرم » مركبة كان يقودها « ميكى » متنكراً فى زى حوذى ، وذلك بمهارة فائقة ، حتى إن « ميموشكا » صاحت به مطرِبة . مرحى يا « ميكى » ! إننى لم أكن أعهد فيك هذه الموهبة كحوذى .

– هيه ، هيه ! إن رسول القيصر يجب أن يكون متعدد المواهب . لقد كنت بالأمس تاجراً ، وأنا اليوم حوذى ، أما غداً . . .

– ماهذا الذى أسمعه منك ؟ ألم تطلب منى ألا ننطق أبداً بهذه العبارة ، « رسول القيصر » ؟



لقد هربت منى مرتين . أما الآن فأنت فى قبضتى ، ولن تفلت منى !


ومع ذلك، فغير بعيد من هنا...
مركبة!..


إن الجوزى سوف يطلعنا على تحركات القوات الروسية، سنجعله يتكلم!..

كانت « ميموشكا » تضحك وهى تشعر بأنها حققت نصراً على خطيبها الذى أجابها بقوله : الحق معك . ولكن من سيسمعنا وسط هذه الجبال ؟ ! ! . . .

الواقع أن الطريق كان خالياً تماماً ، وكانت المركبة تسابق الريح ، وسط طريق تحفه الأشجار ، وكان الهواء يلفح وجهيهما عليلاً مشبعاً برائحة الأرض الرطبة والنباتات ... وصاحت « ميموشكا » فى انبهار : ياجمال الطبيعة ! لايوجد مخلوق سوانا على مدى البصر .

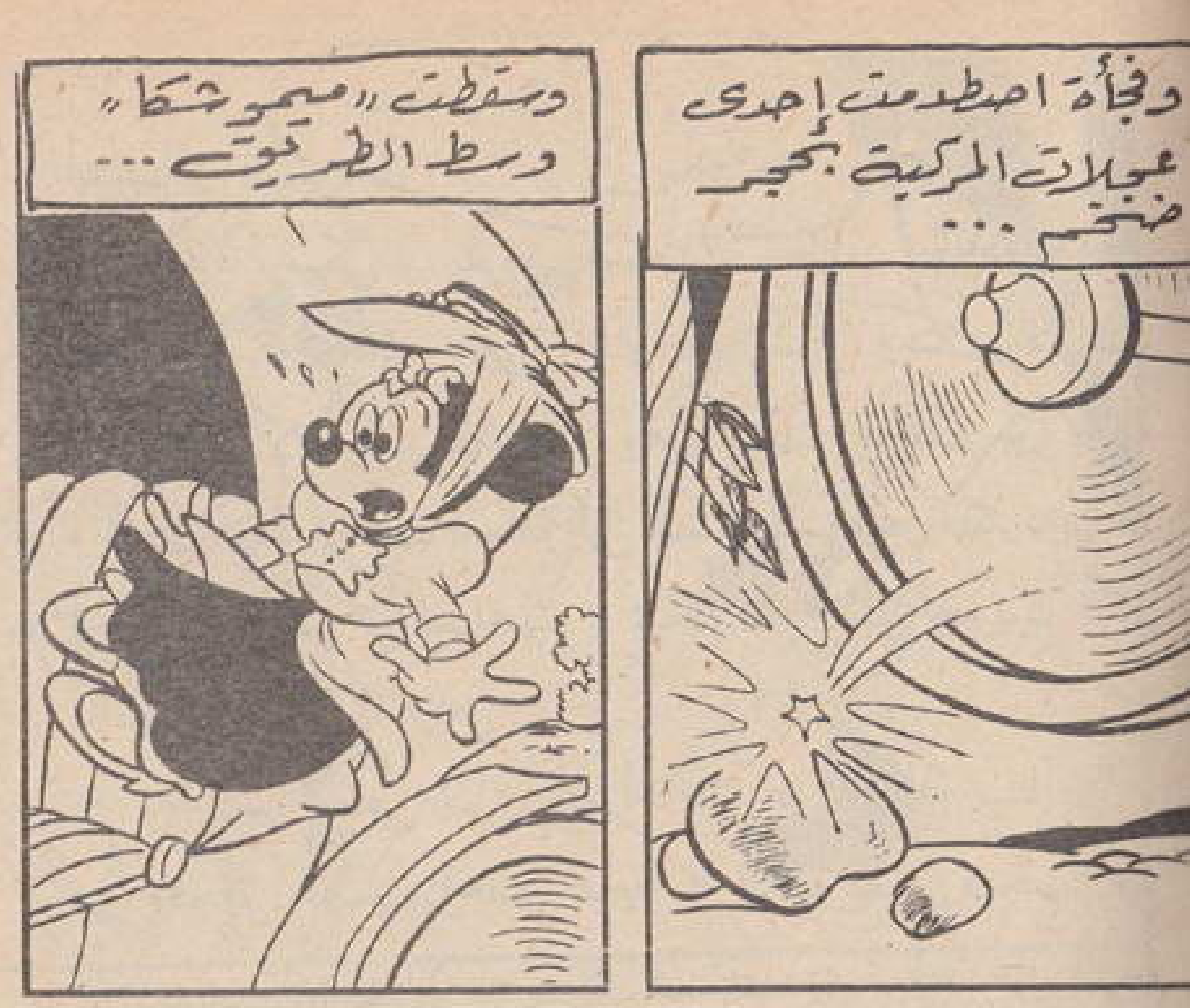
أخطأت « ميموشكا » حين ظنت ذلك ، فغير بعيد عنهما ، كان يختبئ عدد من فرسان التتار خلف الصخور وهم يرقبون العربة .

وقال قائد الجماعة : يجب أن نوقف هذه المركبة ونقوم باستجواب الحوذى ليدلنا على تحركات القوات الروسية .

أطلق الفرسان الغلاظ جيادهم فى أثر المركبة ، وهم يطلقون صيحات عالية تثير الرعب فى القلوب . فصاحت « ميموشكا » :

– « ميكى » ! إننى أحس بقشعريرة فى ظهرى ! هناك من يتبعنا !

– أتحسين بقشعريرة فى ظهرك ؟ إذن فلابد أنهم التتار . وأظن أن المناطق الواقعة شرقى جبال الأورال قد سقطت كلها فى









أيديهم ! فلنسرع !

أخذ « ميكى » يفرقع بسوطه ، لحث الجوادين على الإسراع ، وأخذت العربة تتأرجح بشدة وعنف فتشبثت « ميموشكا » بطرف مقعدها ، وهى تتلفت للخلف بين لحظة وأخرى . وقد هالها أن المسافة التى تفصل بينهما وبين مطارديهما قد أخذت تتناقص ، فصاحت « بميكى » : إنهم يقتربون أكثر فأكثر . ماذا أنت فاعل ؟

– ليس أمامى سوى أن أحافظ على المسافة بيننا .

وفجأة ارتطمت إحدى عجلات المركبة بحجر ضخم . ولم تشعر « ميموشكا » إلا وهى تطير فى الهواء ثم تسقط على قارعة الطريق ، مصابة ببعض الرضوض البسيطة ، وأخذت تنادى على خطيبها لكى يتوقف . وصلت صيحاتها إلى مسمع النقيب « ستروجوف » ، الذى لم يكن قد لاحظ سقوطها ، فأخذ يجذب إليه أعنة الجوادين بكل ما أوتى من قوة ، محاولاً إيقاف العربة ليبادر إلى إنقاذ خطيبته . ولكنه لسوء الحظ لم يستطع كبح جماح الجوادين ، وبدأ الفزع يسيطر على حواسه وأخذ يحدث نفسه قائلاً :

– إن الجياد قد أفلت قيادها ، وأصبحت عاجزاً عن السيطرة عليها . ترى ما الذى سيحدث « لميموشكا » ؟ إن التتار



سيصلون إليها مابين لحظة وأخرى . . .

وبالفعل وصلت كوكبة من فرسان التتار إلى حيث كانت « ميموشكا » المسكينة تجلس على قارعة الطريق ، وإذا بها تشاهد أسنة من الرماح تلمع أمام عينيها ، وصوت رئيس الجماعة وهو يصيح : باكاراه ! فتعالت أصوات الجنود مكررة : باكاراه ! .

تقدم منها رئيس الجماعة وغرس طرف رمحه فى ياقتها ، ثم رفعها به فى الهواء ، وهو يطلق ضحكة خشنة عالية . فصرخت « ميموشكا » قائلة :

– كف عن هذا السخف ! دعنى أيها الوحش . إنك تتلف معطفى ! يالك من جاهل ، عديم التربية ! أيها البربرى ! فتساءل الرجل ، ويبدو أنه دهش لهذه الكلمة الأخيرة :

– بربرى ؟

– أو تترى ، إذا كنت تفضل هذه الكلمة ، إن البربرى والتترى لايختلفان .

أما « ميكى » فكان فى ذلك الوقت لايزال يحاول جذب أعنة الجوادين ، ولكن دون جدوى . . فقد أفلت زمامها ، وخرج الزبد من منخريهما . . ولم يسعه إلا أن يصيح بأعلى صوته : تشجعى « ياميموشكا » ! تشجعى . . سأحضر للدفاع

عنك . . سأوقف العربة وأخف إلى نجدتك .

ولكن الجوادين المذعورين ، كانا يزيدان من سرعتهما . وفكر « ميكى » فى أن يقفز من مقعده ، ولكن مثل هذه القفزة قد تكون سبباً فى هلاكه . وفجأة ندت عنه صرخة فزع ، إذ شاهد أمامه هوة سحيقة . فصاح : ياإلهى ، لقد هلكت ! ... وداعاً يا « ميموشكا » ! .

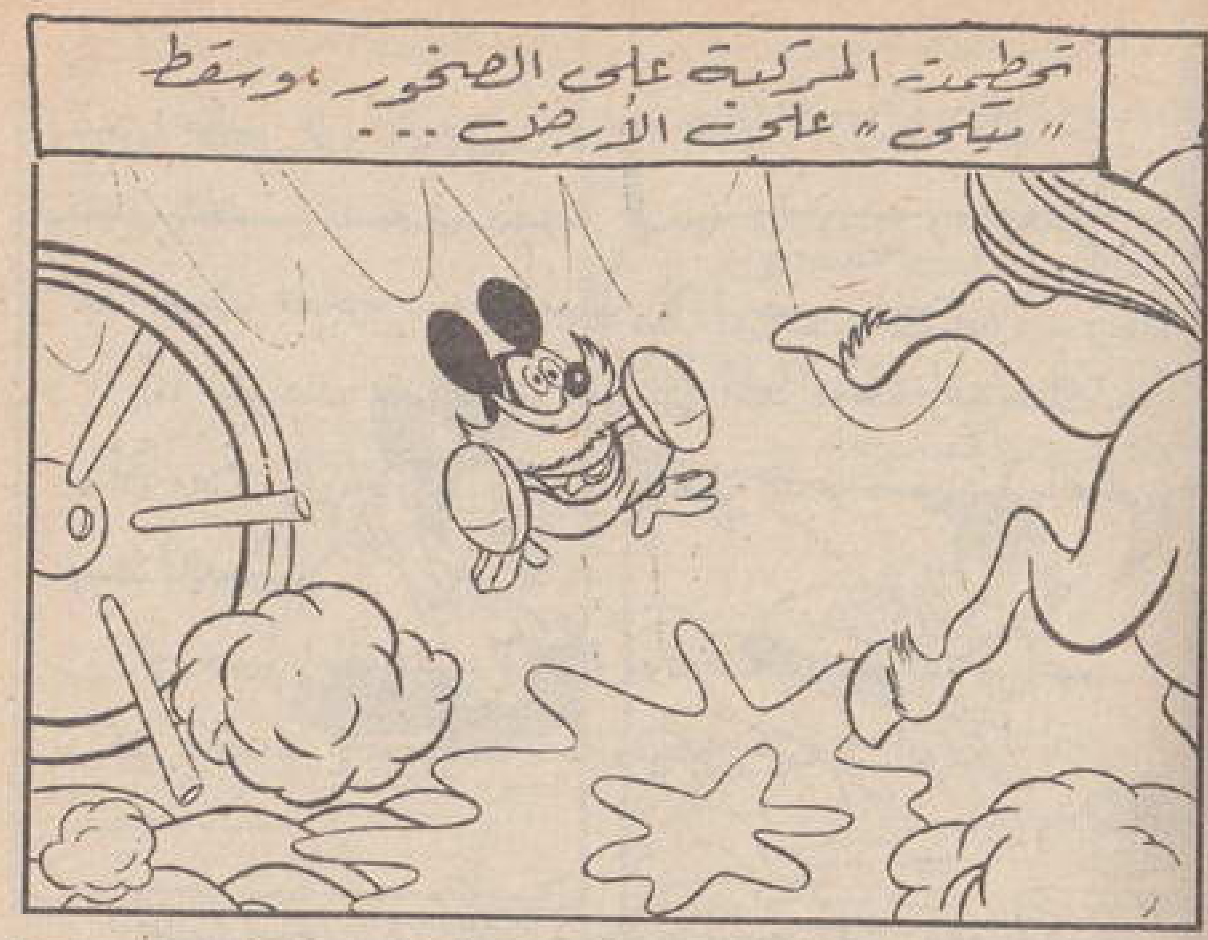
ولم تمض سوى لحظات خاطفة حتى هوت المركبة فى الهوة السحيقة

٧

لم يفقد « ميكى ستروجوف » أعصابه ، وتشبث بالمركبة وهى تهوى من حالق . . لقد أيقن « ميكى » بأن نهايته قد دنت .

استمرت المركبة تهوى بسرعة مذهلة ، وهى ترتطم بالصخور تارة ، وتندفع فى الفضاء تارة أخرى . وفجأة ارتطمت بعنف وتحطمت ، وتطايرت عجلاتها الأربع فى كل اتجاه ، وتهشمت أجزاؤها الخشبية إلى آلاف القطع .

ولم ينج « ميكى » من نفس المصير إلا بفضل نجاحه فى البقاء على حافة المركبة ، وبذلك لم يرتطم بالأرض مباشرة ، إذ أن اليايات . . ساعدت على امتصاص أثر الصدمة ، وأخيراً ألق





نفسه جالسا على الأرض ، ورأسه يدور . . ولكنه كان حياً . فأخذ يتحسس نفسه فى حذر . ثم تنهد فى ارتياح وهو يغمغم : لقد نجوت بمعجزة . ولم أصب إلا ببعض الخدوش !

أما الجوادان فقد كانت إصابتهما أشد درجة ومع ذلك ، ما أن وصلا إلى الأرض ، حتى تملكهما الذعر ، وبادرا بالفرار وسط الصخور .

— حسناً ! لقد تمت الكارثة دون ضحايا . وهذا هو المهم . ولكننى فقدت « ميموشكا » . ومركبتى وكذلك « ذقنى » . .

ظل « ميكى » فى مكانه لايتحرك لبضع دقائق وهو يفكر فى خطيئته ، وفى نضاله مع التتار . إنها الآن ولاشك أسيرة فى أيديهم ، وهاهو ذا النقيب « ستروجوف » عاجزاً عن أن يفعل شيئاً لمساعدتها . ولكن « ميكى » لم يكن من الرجال عديمى الحيلة ، إذ سرعان ماشمخ برأسه وهو يقول : إن أول مايجب علىّ مراعاته ، هو ألا أنسى أننى رسول القيصر . إن الرسالة التى أحملها ، يجب أن تسلم إلى الأرشيدوق مهما كان الثمن . كما يجب أن يتم ذلك بأسرع مايمكن . إن حياة آلاف من البشر ، تتوقف على نجاح مهمتى ، بل إن الخطر يهدد الإمبراطورية الروسية بأكملها ! إن المهمة التى كلفت بها يجب أن تكون لها الأولوية







على مشاكلى الخاصة ، مهما بلغت هذه من الأهمية . فإلى الأمام يا « ميكى » ! يجب مواصلة الطريق ! . .

سار « ميكى » طويلاً إلى أن وصل إلى ضفاف نهر . وعندما شاهد المياه الجارية بين الأعشاب العالية وشجيرات البوص ، واتته فكرة نيرة : لو أننى تركت نفسى لتيار النهر يحملنى ويجرفنى معه ، لأمكننى قطع جزء كبير من الطريق بدون تعب ... إن هذا النهر ، ولا شك ، يجرى نحو « إركوتسك » . وبهذه الطريقة لن أتعرض لخطر داوريات التتار .

وبدون أن يسترسل فى التفكير ، ألقى « ميكى » بنفسه فى النهر ، وترك للتيار أن يحمله معه .

ومضت ساعة شاهد « ميكى » بعدها قارباً عن بعد ... فغاص تحت الماء حتى لا يراه من فى القارب . . وعلى مسافة قصيرة عاد للظهور بين أعواد البوص . وفى حذر شديد ، أخذ يتطلع من بينها إلى القارب وشاغله ، واستطاع أن يميز فيه أحد التتار ، وهو منصرف بكليته إلى صيد السمك ، غير ملتفت إلى ماحوله .

وعاد « ميكى » للتفكير ! ... « إن هذا القارب يلزمنى لكى أصل إلى إركوتسك ... لذلك سأقضى على هذا الفارس قبل أن يتمكن من تحذير رفاقه .

غاص « ميكى » وأخذ يسبح تحت الماء ، إلى أن وصل

أسفل القارب ثم اندفع صاعداً إلى السطح ، ودفع القارب دفعة قوية قلبته رأساً على عقب ، وألقت بشاغله فى الماء ، ثم تهيأ « ميكى » للانقضاض عليه ، ولكنه شاهد وجه الرجل . . إنه يعرفه ! ... فصاح فيه :

– ولكن . . لكنك لست تتريا ! أنت « بندقبيف » صديق طفولتى ! . .

– وأنت ! أنت « ميكى » ! . .

– هيا بنا نخرج من الماء ! ... إن المكان هنا ليس مناسباً لسرد الذكريات . .

وصل الصديقان إلى الشاطئ ، وتغلغلا فى داخل الغابة وهما يتبادلان الحديث فى بهجة وسعادة .

قال « ميكى » : « كنت أعرف أنك حضرت للإقامة فى هذه المنطقة ، ولكنى لم أكن أتصور أن ألقاك ، وخاصة بهذه الملابس . واستطرد « ميكى » بعد تفكير ... إنك على الأقل لم تلتحق بخدمة التتار ؟ ! ! . .

– وهل تتصور احتمال ذلك ؟ إنك تعرف جيداً مدى شغفى بصيد السمك . فإذا أنا تخفيت تحت هذه الثياب ، استطعت التفرغ للصيد دون خوف . إن التتار يظنوننى واحدا منهم ، فيتركوننى وشأنى . ألا تراها فكرة طيبة ؟





– بدون شك . . ومع ذلك فإن فى عملك هذا بعض الخطر فقد تتعرض للقتل بيد أحد مواطنيك ، اعتقاداً منه أنك تترى . .

– حقاً ! ولكن هل تعلم أنه لا يوجد عدد يذكر من الجنود الروس فى هذه المنطقة ؟

– وهل نسيت أننى واحد منهم ؟

– هذا صحيح ولكن خبرنى ، ماالذى جاء بك إلى هنا ؟

وفى إيجاز ، أطلع « ميكى » صديقه على حقيقة مهمته ، وعلى الأحداث والمخاطر التى تعرض لها ، هو و « ميموشكا » .

فأجابه « بندقييف » :

– لايشغلك ذلك . لقد أسعدك الحظ أن التقيت بى ... فنى استطاعتى أن أساعدك ... هيا بنا إلى منزلى ، وهناك ستتنكر أنت الآخر فى زى التتار . .

– ياإلهى ! هل سأعود للتنكر مرة أخرى ؟

– أجل . إننى أؤكد لك أن زى التتار هو أفضل جواز مرور فى هذه المنطقة . ولن يعترض طريقك أحد .

وبعد قليل ، كان « ميكى » ينظر إلى هيئته الجديدة فى المرآة بمنزل « بندقييف » ، بينما صاح صديقه فرحاً : رائع ! ... إننى أتحدى أى كائن أن يتعرف على رسول القيصر تحت هذا الثوب ! إنك ستستطيع بعد قليل تسليم رسالتك إلى الأرشيدوق .







خرج الصديقان من المنزل ، وأسرعا الخطى متجهين نحو النهر ، إلى أن وصلا إلى القارب الخاص « ببندقبيف » ، وقال هذا :

– إننا سنسير مع النهر حتى « أومسك » . هيا ساعدنى فى فك الحبال ! أخذ « بندقبيف » يوجه القارب بمهارة ، وهو يتحدث إلى « ميكى » :

– عندما نصل إلى « أومسك » ، سنذهب إلى معسكر « پات هيبول خان » ، وهو المعسكر الذى يقودون إليه الأسرى من الروس . ومن المحتمل أن نتمكن من تحرير « ميموشكا » مقابل فدية .

فصاح « ميكى » :

– أحقاً ماتقول ؟ ! ... إذا نجحنا فى ذلك ، فإنى سأعهد بها إليك ، لتصحبها إلى منزلك ، حيث تكون فى أمان . بعدئذ سأحصل على جواد ، وأحاول الوصول إلى « إركوتسك » .

وبعد يومين وصل بطلانا إلى « أومسك » سالمين وبينما هما يسيران بالقرب من المعسكر ، شاهدا صفاً طويلاً من الأسرى ، مكبلين بالسلاسل ، يقوم على حراستهم جنود مدججون بالسلاح ، وكانوا متجهين إلى مقر أمير التتار .

فتساءل « ميكى » : ماالذى سيفعلونه بهم ؟

فأجاب صديقه : الأمر متوقف على مزاج الأمير ، وهو الذى يقرر مصيرهم . وعادة فإنهم يحتفظون بالأغنياء من الأسرى لكى يحصلوا على فدية ضخمة من ذويهم . أما الفقراء فسيعملون أرقاء . . وهكذا . .

ولكن « ميكى » قاطع صديقه هامساً :

– « بندقييف » ! انظر ! هاهى ذى « ميموشكا » ! . .

بالفعل ، كانت « ميموشكا » تتقدم بين صفوف الأسرى ، مكبلة مثلهم بالسلاسل .

بسرعة وحذر تمكن « ميكى » و« بندقييف » من التسلل إلى صفوف الحراس دون أن يلحظهما أحد ، وأخيراً استطاعا الاقتراب من « ميموشكا » ، وهمس « ميكى » :

لا تنظرى إلىّ يا « ميموشكا » ! ولاترفعى صوتك ! »

عندما سمعت الفتاة صوت خطيبها ، كادت تصرخ من فرط اضطرابها . ولكنها لحسن الحظ تمكنت من السيطرة على عواطفها ، وقالت بصوت هامس : أنت على قيد الحياة ! . . لاأستطيع أن أصدق ! . . لقد شاهدتك وأنت تهوى بالمركبة إلى أعماق الهاوية ! »

فأخذ « ميكى » يقص عليها باختصار كيف تمكن من النجاة ، ثم سألها عما حدث لها .







– لقد أسرنى التتار ، ثم أحضرونى إلى هنا ، حيث قابلت صديقتى «كلارابيڤا بيلابيڤا» ، التى وقعت هى الأخرى فى الأسر. ألا تذكرها ؟ إنها تسير خلفى مباشرة .

التفت « ميكى » إلى الخلف ، وشاهد صديقة « ميموشكا » التى كانت زميلة لها فى المدرسة الثانوية . وقد عرفته الفتاة وابتسمت له ابتسامة رقيقة .

وسألته « ميموشكا » :

– ماالذى سيفعلونه بنا ؟ أرجو ألا تحاول إنقاذنا يا« ميكى » . انهم سيأسرونك أنت أيضاً ، فلا تتمكن من إنجاز مهمتك . أرجو ألا تفكر فينا ، بل فكر فى الإمبراطور .

– كفى يا« ميموشكا » ! إننا هنا لإنقاذك دون تهور . والآن الزمى الصمت ، فقد وصلنا إلى المعسكر !

وهنا صاح قائد الحرس :

– قف ! على الأسرى جميعهم أن يصطفوا على هيئة حلقة !

امتثل الأسرى للأمر دون تردد . كانوا يقفون أمام خيمة ذات ألوان زاهية ، أكبر من باقى الخيام المنتشرة فى المعسكر ، ومن حولها وقف عدد من الحراس التتريين . وأمام هذه الخيمة جلس « پات هيبول خان » تحت مظلة من القماش . ومن تحته ومن

حوله . عدد من الوسائد المزركشة ، كان أمير التتار يدخن النرجيلة فى هدوء ، وإلى جانبه جلس رجل مخيف ، أخذ يتفحص وجوه الأسرى بعينيه الضيقتين الحادتين ... لم يكن رجلنا هذا سوى « ماسكارا نجرينسكى » .

٨

تبادل الأمير بضع كلمات مع أحد ضباطه ، وهو رجل ضئيل الجسم ، ذو وجه كئيب ، وعلى أثرها تقدم الضابط نحو الأسرى وأعلن : انتبهوا ! إن جلالة الأمير « يات هيبول خان » ، يشكو من تعكر مزاجه ، وقد قرر أن يمنح أسيرين يختارهما من ينجح فى تسليته بقصة طريفة .

فصاح « بندقييف » : ياللسماء ! هذه هى فرصتى ! سوف أقص عليه قصة لطيفة ، وأطلب منه تحرير « ميموشكا » و« كلارابيفا » .

وبخطى ثابتة ، تقدم من الأمير ، وانحنى أمامه انحناءة كبيرة وقال :

– استعد أيها الأمير العظيم لكى تمسك بضلوعك . وإلا فإنك سوف تموت من الضحك !

– أحقاً هذا ؟ ! هيا إذن ، إنى مصغ إليك ! ...

يحكى أن: أذكر أم ٤٤ وقع فى غرام أنثى أم ٤٤ ، وخرجا يتنزهان ، وقد وضع كل منهما يده فى يد الآخر . ثم يدا أخرى فى يد . . ثم يدا فى يد . . ثم يدا فى يد.

فقاطعه «پات هيبول خان» وقد بدت الحيرة على وجهه : أم ٤٤ ؟ يدا فى يد ، ثم يداً فى . . .

وفجأة انطلق الأمير ضاحكاً فى قهقهة عاليةارتجت لها جدران الخيمة :

– ها ! ها ! ها ! فهمتها ! ها ! ها ! ها ! لطيفة جداً . . ها ! ها ! ها ! رائعة . إنى أكاد أموت من الضحك ! ها ! ها ! ها ! ها ! إنى أختنق ! ها ! ها ! ها !

كان الأمير منحنياً يخبط بيديه على فخديه ، وهو مستمر فى الضحك . أما حاشيته ، فكانوا ينظرون إليه فى حيرة ، وهم لايدرون كيف يتصرفون . وأخيراً قال أحد الضباط :

لقد ضحك الأمير «پات هيبول خان» فلنضحك جميعاً !

– لقد ضحك الخان . . . هيء ! هيء ! هيء

– هؤ ! هؤ ! هؤ !

وسرعان ما استغرق أفراد جيش التتار فى الضحك ، بل إن الأسرى ، نسوا للحظة ماهم فيه من معاناة ، واشتركوا فى التهليل .





أما الخائن « ماسكارا » . فكان الوحيد الذى لم يشارك فى تلك المظاهرة الضاحكة ، وظل وجهه عابساً مقطباً .

وأخيراً هدأ الضحك ، وهنأ الأمير «بندقييف» بحماس قائلاً :

– مرحى ، أيها المحارب ! لقد أزحت عن كاهلى شبح الكآبة ، فأنت تستحق المكافأة التى وعدت بها ! هيا اختر من يروق لك من الأسرى ! . .

تظاهر «بندقييف» بالطبع بالتردد فى الاختيار ، وأخذ يستعرض الأسرى فى حيرة مفتعلة . وأخيراً توقف أمام الفتاتين وأمعن فيهما النظر ، ثم صاح :

– لقد أخذت هاتين الأسيرتين ، أيها الأمير الكريم .

وهنا وقع بصر « نجرينسكى » على وجه « ميموشكا » ، فصاح :

– انتظروا لحظة !

سرى الرعب إلى قلب « ميكى » ، وهو يخشى بأس هذا الخائن اللئيم . لقد تتابعت الأحداث فى يسر حتى تلك اللحظة ، وها هو ذا يتدخل وقد يفسد كل شىء .

شهر الخائن سوطاً وتقدم نحو « ميموشكا » :

– إننى أعرفك ! أنت خطيبة النقيب « ستروجوف » !





– أما أنا فلا أعرفك . وأحذرك من إهانتى .

– أجيبينى ! أين هى رسالة القيصر ؟

– فى صندوق البريد على ماأعتقد ، أليس كذلك ؟

احمر وجه الخائن غضباً ، وصرخ قائلاً :

– أيتها اللئيمة ! سوف أجعلك تتكلمين !

– أوه ، رويدك ياسيدى ! يجب أن نحسن اختيار ألفاظك ، فنحن لم يسبق لنا الاشتراك فى تربية الحيوانات !

كان الأمير التترى يراقب هذا المشهد باهتمام ، ثم صاح : ها ! ها ! كم هى جريئة تلك الموسكوفية الصغيرة .

زاد هذا التعليق من حنق « ماسكارا نجرينسكى » ، فأخذ يفرقع سوطه فى غضب جامح وهو يقول : إن الأمير يتسلى ، ولكنى لست مازحا ! ستتكلمين الآن وإلا . . قال ذلك ورفع ذراعه بالسوط مهدداً . كان « ميكى » يتابع هذا التطور ، وقد غلى الدم فى عروقه ، وبدون أن يتمهل للتفكير فيما هو مقدم عليه ، انفلت من بين الحشد ، وتقدم نحو الكولونيل ، وضربه برمح فوق رأسه وهو يصيح : دع هذه السيدة وشأنها أيها الوغد ! . .

التفت « ماسكارا نجرينسكى » نحو مهاجمه ، وقد نسى آلامه ، وعلت وجهه ابتسامة صفراء : وقال فى صوت هادر





متوعد : هاهو ذا رسول القيصر يقع أخيرا فى قبضتى ! ثم التفت نحو الجنود وصرخ قائلاً : أيها الحراس اقبضوا على هذا الرجل .

وهنا تقدم عملاق تترى ، ووضع يده الضخمة على كتف « ميكى » الهزيل . أما « ميكى » ، فقد أدرك أن أية مقاومة يبديها فى هذا الموقف ، لن تجديه فتيلاً ... فاستسلم فى يأس .

واستطرد الخائن اللئيم : لقد هزأت بى مرتين متتاليتين . فقال ميكى بازدراء : إذن فأنت هو « ماسكارا نيجرينسكى » ! .. الرجل الذى خان وطنه ! .. كان يجب أن أدرك ذلك ..

– كفاك عنادا أيها النقيب « ستروجوف » ! هيا أعطنى رسالة القيصر . إننى فى شوق لمعرفة فحواها .

وبحركة عنيفة انتزع من جيب « ميكى » الرسالة الخطيرة ، وأسرع يفض أختامها ، وهو يرتعش لفرط انفعاله ، ثم قال :

– إن هذه الرسالة اللعينة حرمتنى النوم ، سأعرف الآن مايقول القيصر لأخيه .

قرأ « ماسكارا » الرسالة على عجل وأخذ يضحك مسروراً :

– ها ! ها ! ها ! جلالة الإمبراطور ينصح الأرشيدوق بأن يأخذ حذره منى .

أخذ « نجرينسكى » يلوح بالخطاب أمام عينى « ميكى » واستطرد قائلاً :





– إن هذه الرسالة تنطوى على أهمية بالغة ! إن موسكو تعلم أننى الآن فى خدمة « بات هيبول خان » . ولكن بالنسبة للروس الذين يقيمون شرقى جبال الأورال ، فأنا مازلت الكولونيل « مسكارا نيجرينسكى » ، الخادم المخلص للوطن .

ثم التفت نحو أمير التتار واستطرد قائلاً :

إن رسول القيصر دخل معسكرنا ، واستطاع بذلك أن يقف على مدى استعدادنا العسكرى . أما خطيبته ، فقد رفضت أن تجيب عن أسئلتى أيها الأمير العظيم . إن أمر التصرف فى مصيرهما .

متروك لك ، وأنا أطالب بإنزال أشد العقاب بهما .

– إن الضابط الروسى كان متنكراً فى زى التتار ، ولذلك فإنه يستحق العقاب المفروض على الجواسيس . أما هذه الموسكوفية الصغيرة ، فهى من الآن ملك لهذا المحارب اللبق ، الذى نجح منذ لحظة فى إضحاكى . ها ! ها ! ها ! إننى أضحك كلما تذكرت قصته !

ثم التفت الأمير إلى « بندقييف » وقال له :

خذ الأسيرتين اللتين اخترتهما ، واصنع بهما ماشئت ، هما لك . إن الأمير إذا ماوعد أوفى . . فكلمته واحدة ! . .

انحنى « بندقييف » فى احترام أمام الأمير ثم اتجه نحو الفتاتين ، فحل السلسلة التى كانت تربطهما بباقى الأسرى ، وهو يهمس فى أذن « ميموشكا » :

– تظاهرى بالاستسلام والخضوع لمصيرك . . يجب أن نسرع بإخفائكما ، وبعد أن أطمئن على سلامتكما ، سأعود لأخلص « ميكى » من براثن هذا الخائن البغيض .

٩

أطاعت الأسيرتان أوامر « بندقييف » ، وسارتا معه فى خضوع واستسلام ، كان « بندقييف » يدفعهما أمامه ، وهو يصيح

بهما مهدداً بصوت عال ، إتقانا لدوره :

– هيا تقدما أيتها اللعينتان ، سأقودكما إلى منزلى ، وإياكما وأى تباطؤ ، وإلا سلخت جلدكما .

زفر « ميكى » بارتياح ، وقد عرف أن خطيبته قد نجت ، وأنه سيستطيع منذ تلك اللحظة ، أن يواجه التنكيل الذى يبيتونه له . .

ابتسم « بات هيبول خان » فى شراسة ، وهو ينظر إلى سجينه ، وقد وقف « ماسكارا نيجرينسكى » إلى جانبه يفرك كفيه فى سرور : إنه سيشاهد العقاب الذى سيحيق بخصمه اللدود . وأخيراً وجه الأمير حديثه « الميكى » قائلاً :

– أعتقد يا « ميكى ستروجوف » أنك تتحرق شوقاً لمعرفة الجزاء الذى ينتظرك ! . .

فأجابه النقيب الشجاع فى برود : لست فى عجلة من أمرى فباستطاعتى الانتظار حتى الغد إذ شئت ، لتتاح لك فرصة التوصل إلى فكرة . . هذا إذا كانت الأفكار يمكن أن تصل إلى هذا الدماغ الملىء بالهواء . .

وبعكس ما كان « ميكى » يتوقعه ، فإن الأمير لم يغضب لهذه الإهانة . بل أخذ يقهقه :

– ها ! ها ! ها ! لقد تجرأ نقيبٌ تافهٌ من ضباط القيصر ،



وأهان أسد التتار ! أليس هذا بالأمر المضحك ؟ ها ! ها ! ها ! ها !

ولكنه سرعان ماتوقف عن الضحك ، وتملكه غضب جامح وصاح :

لماذا تنكرت فى زى التتار ؟ لتتجسس علينا ! . . أليس كذلك ؟ حسناً ! ... سوف أريك شيئاً لن تراه سوى مرة واحدة فى حياتك ، ولن تراه بعد ذلك ! . .

قال ذلك ، ثم أشار إلى موقد ملىء بجمرات من الفحم المتقد ، وقد غمس فيه سيف متوهج ، واستطرد قائلاً :

– سوف يمرر هذا السيف أمام عينيك ، فتفقد بصرك فى الحال . فما هو رأيك فى فكرتى هذه ؟ ! . .

كاد « ميكى » أن يفقد السيطرة على أعصابه ، فى حين سرت قشعريرة باردة فى أوصاله ، واحتبس صوته .

وعاد الأمير يسأله :

– حسناً ماهو رأيك ؟

– لاأعرف ! يجب أن نرى . .

– نعم ، يجب أن نرى ! . . وإن كنت أنت لن تستطيع أن ترى شيئاً بعد لحظات .

وأضاف « نجرينسكى » :

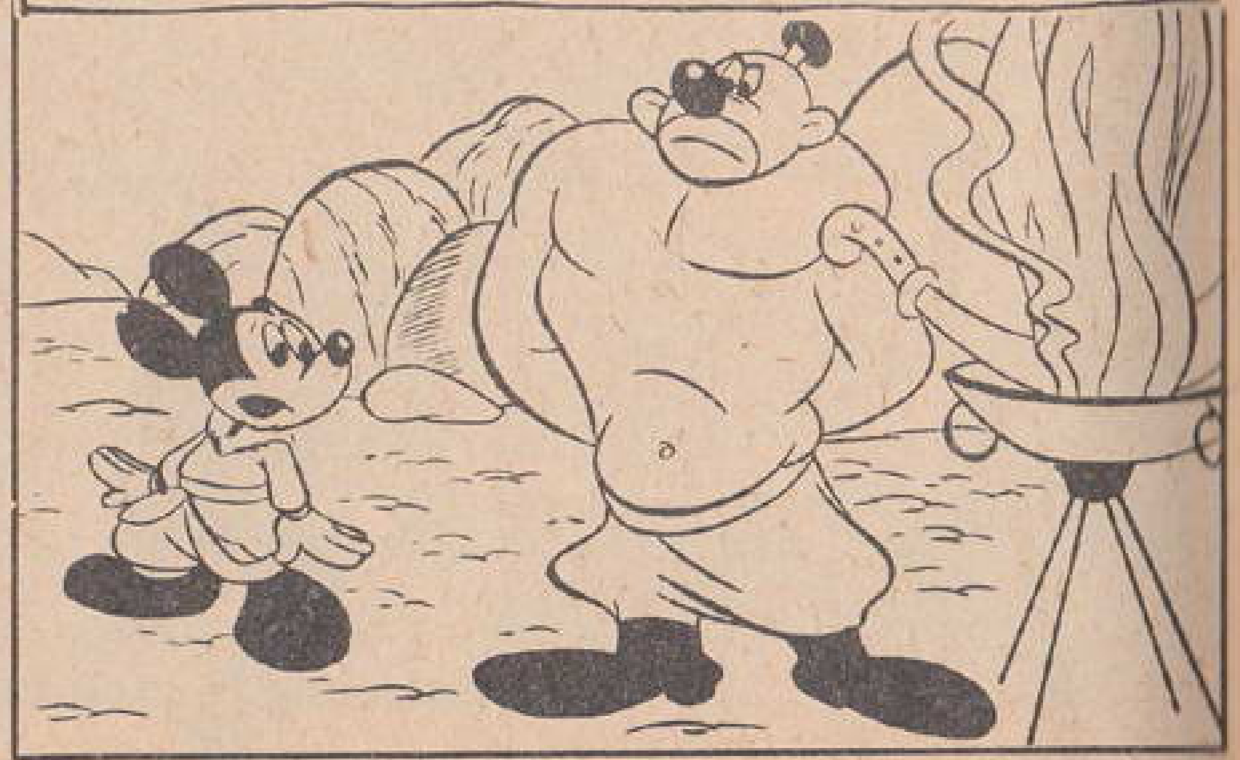
– سوف تتعذب ! . . سوف يصل صراخك إلى مسامع

وجه « بات هيبول خان » الشرس نظره نحو أسيره ورماه بابتسامة قاسية ...

أعتقد يا « ميكى ماوس » أنك تتحرق شوقاً لمعرفة الجزاء الذى ينتظرك ! ...

لست فى عجلة من أمرى !

أشار « بات هيبول خان » إلى موقد مشتعل وضع فيه سيف وقال : إن هذا الجلاد الشرس سيحرق عينى « ميكى » !



« ڤلاديڤوستوك » !

– لا تفرح ولا تشمت لذلك أيها الخائن اللعين . فإنك لن تسمع لى صوتاً .

– سوف نرى ! . . هيا أيها الجلاد !

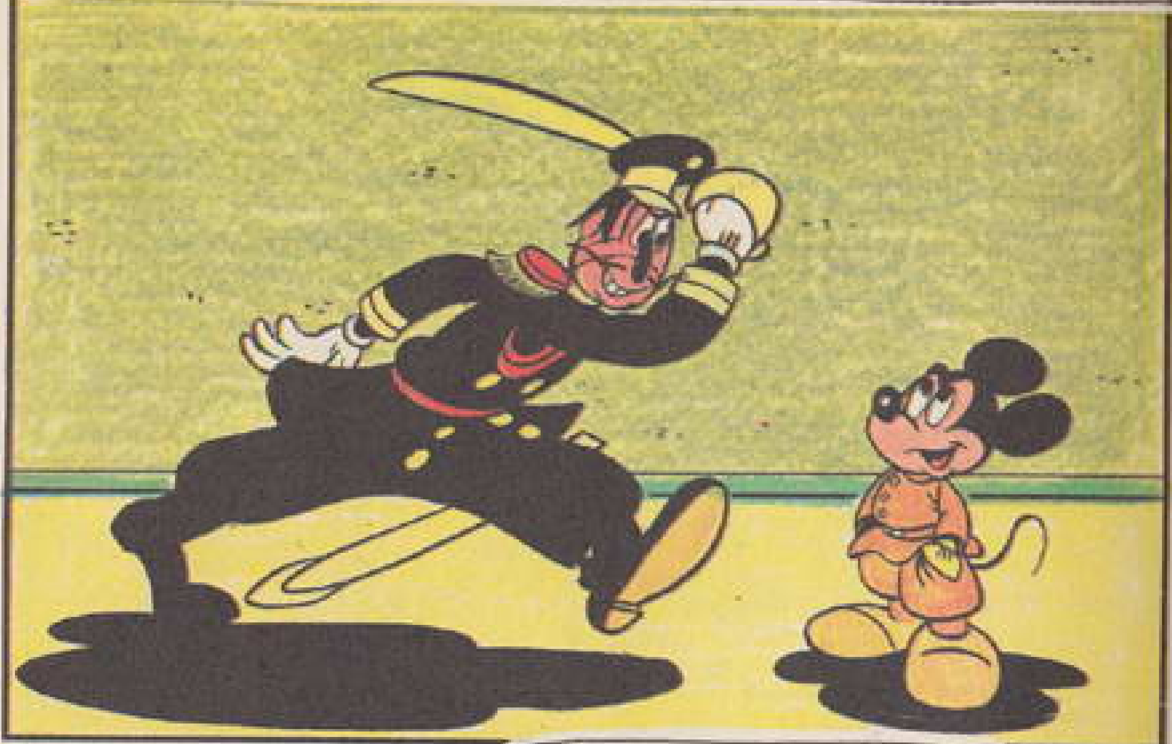
وفجأة وصل إلى المكان جندى تترى وهو يعدو ... لم يكن هذا الجندى سوى « بندقييف » ، عاد لينقذ صديقه ، بعد أن اطمأن على سلامة الفتاتين .

وبنظرة خاطفة ، أدرك حقيقة الموقف ، فقد كان عالماً بعادات التتار . وعندما شاهد الموقد المتأجج ، والسيف المتوهج ، أدرك نوع التنكيل الذى اختاره الأمير ، وسرعان ماتفتق ذهنه عن خطة لإنقاذ « ميكى » من العمى الذى ينتظره ، فقال بصوت لاهث :

– أيها الأمير الكريم . . بينما كنت أقود الأسيرتين إلى بيتى ، تذكرت قصة أخرى لاتقل غرابة عن الأولى . ولذلك عدت مسرعاً لأقصها عليك وأسعدك بها .

– هيا أسمعنى إياها ! . . وعسى أن تنجح فى إضحاكى هذه المرة أيضاً . .

– إنها قصة جندى قديم ، أخذ يروى لمجموعة من المجندين الجدد مغامرات شبابه . وقد تحدث هذا القوقازى العجوز ، عن






وفجأة وصل جندى تترى مهرولاً: كان هو "بندقيف"!


أيها الأمير الكريم، لقد تذكرت قصة أخرى عجيبة. فأسرعت بالعودة لأرويها لك..
أصبت أيها الجندى! هيا، أضحكنى!
كان ثمة جندى عجوز يروى الآتى:

آخر حرب خاضها فقال : كان الموقف ميئوساً منه ، فالأعداء كانوا يحاصروننا ، وقد فقدنا كل اتصال لنا بالخارج . . واشتد الظمأ بالجنود . ولم يكن فى كل المعسكر مايمكن أن نشربه . . وهنا سأله أحد المجندين الشبان متعجباً : ولكن ألم يكن هناك ماء ؟ أو أى مجرى مائى ؟ فأجابه القوقازى العجوز : ياله من سؤال ! لقد كان هناك نهر بأكمله ، ولكن من ذا الذى كان يستطيع التفكير فى الاستحمام فى مثل ذلك الموقف ؟ . .

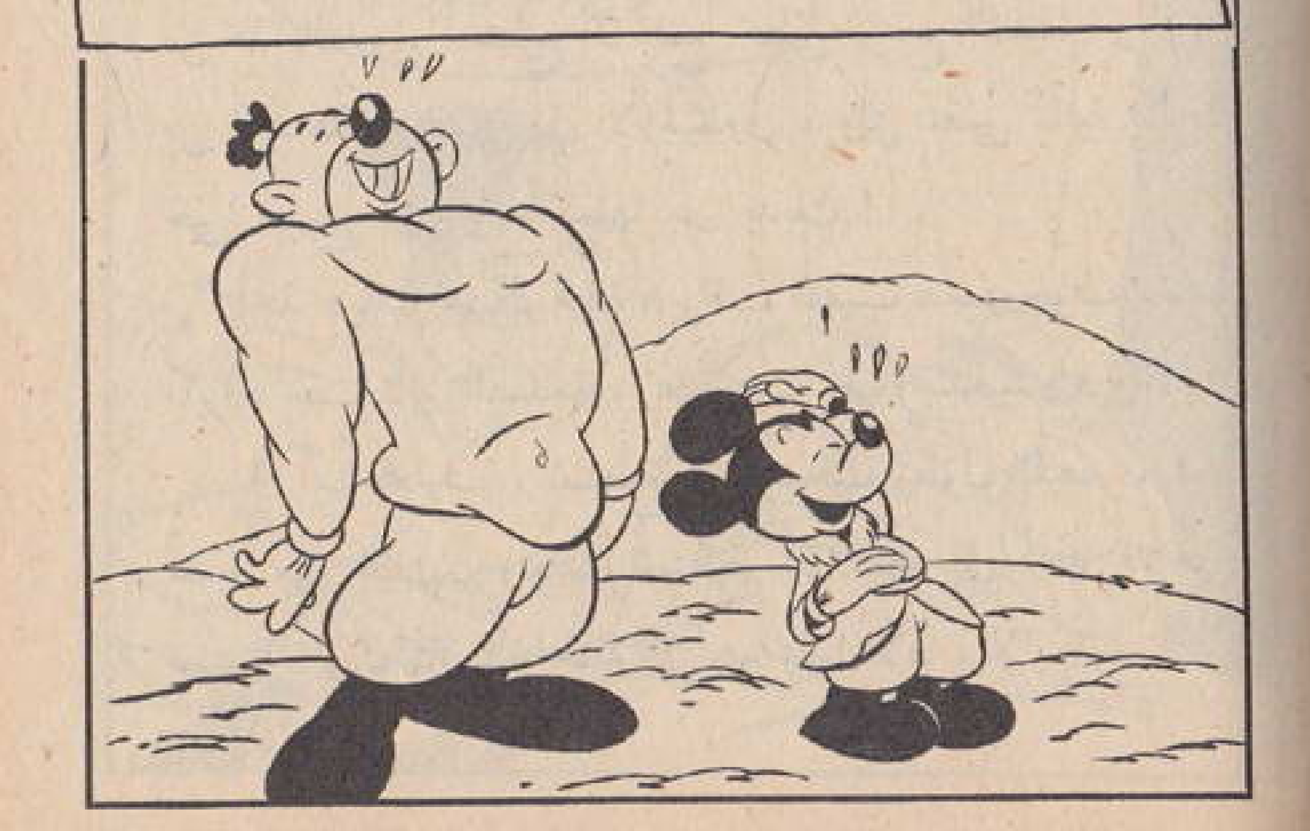
– ها ! ها ! ها ! هو . . هو . . هو . .

انطلق الأمير يقهقه عالياً ، ومرة أخرى سرت عدوى الضحك بين الجميع . وسرعان ماعلت ضحكاتهم حتى أن « ميكى » نفسه ، لم يستطع أن يقاوم رغبة ملحة فى الضحك ، فانفجر ضاحكاً لدرجة أن الدموع طفرت من عينيه ، وسالت على وجهه .

استمر هذا الصخب الضاحك قليلاً ، وفجأة اعتدل أمير التتار فى مجلسه ، وصاح فى صوت آمر :

– كفى ! لننتقل الآن إلى الأمور الهامة . أيها الجلاد ، قم بعملك ! كان الجلاد عملاقاً ضخماً ، فأمسك بالسجين من قفاه لمنعه من الحركة ، وباليد الأخرى ، أمسك بالسيف المتوهج ، وقربه من وجه النقيب الشجاع ، الضابط فى الحرس





الإمبراطورى .

وهنا صاح « ماسكارا نجرينسكى :

– عظيم ! والآن أيها الجاسوس الملعون ، يمكنك الانصراف لقد تيبست عيناك ، ولن تستطيع أن ترى شيئاً منذ الآن ، وستحتاج دائماً لمن يقودك . . لم تعد فى حاجة إليك هنا يا« ميكى ستروجوف » ! هيا انصرف من هنا ! . .

فقال الأمير وهو يسترخى فوق الوسائد :

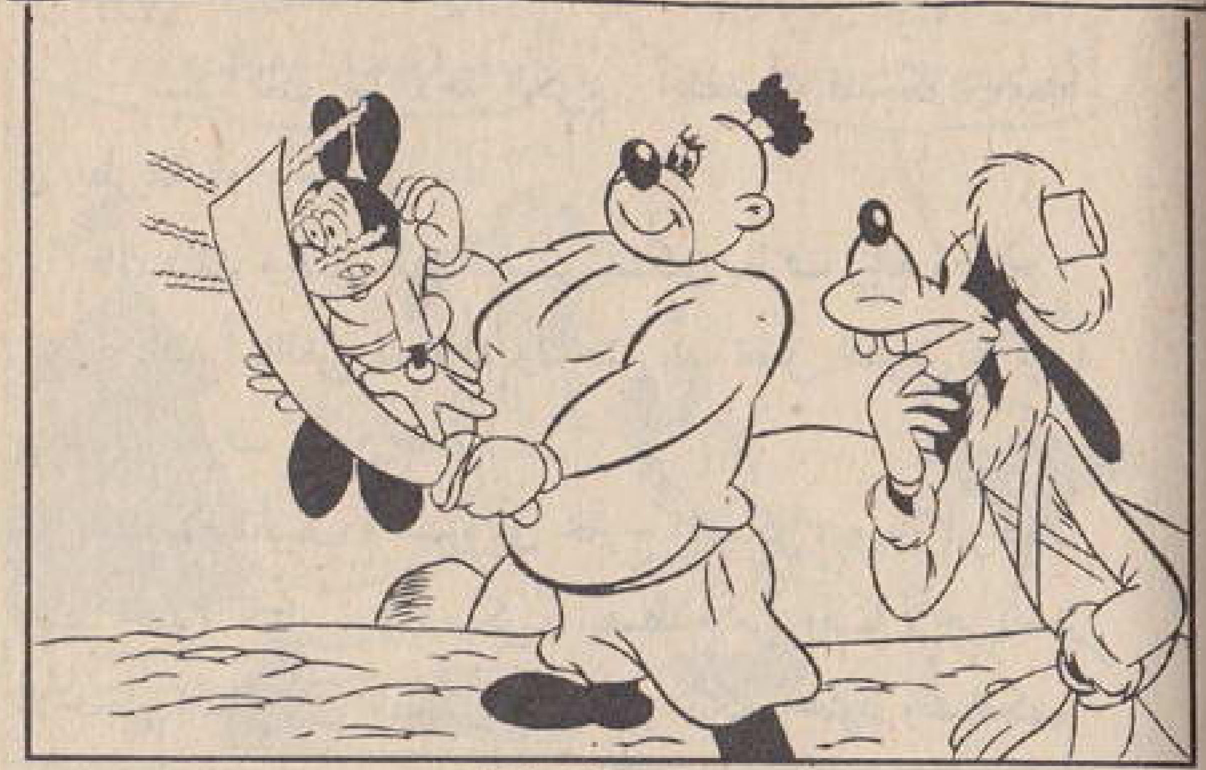
– حسناً ، حسناً ! أرجو أن تكون راضياً الآن « ياماسكارا نجرينسكى » .

فأجابه الخائن وهو فى حالة انفعال ظاهر :

إنى راض تماماً يا« پات هيبول خان » ! الآن وقد تخلصت من هذا العدو ، أستطيع أن أضع خطتى موضع التنفيذ . وسأبدأ من الغد فأقدم نفسى إلى الأرشيدوق ، ولن تمضى ثمانية أيام ، حتى تصبح سيبيريا بأكملها بين يديك !

أخذ « پات هيبول خان » يراقب النقيب « ستروجوف » وهو مايزال تحت تأثير الصدمة ، ثم التفت نحو « بندقييف » وقال :

– أيها المحارب ، تستطيع أن تصحب رسول القيصر ، فهو هدية منى إليك . ولعلك تستطيع أن تبيعه إلى أحد فلاحى سيبيريا . وإن كان فى الحالة التى هو عليها الآن ، لا يساوى أكثر





من روبل !

– شكراً لك أيها الأمير الكريم . أعتقد أنه قد يكون مفيداً لى بطريقة أو بأخرى .

قال ذلك ونخس ظهر النقيب المسكين بطرف رمحه وصاح :

– هيا أيها الغبى ! تحرك ولاتخش أن تضل الطريق ، فإنى سأقودك بطرف رمحى هذا ! . .

اقتاد « بندقييف » أسيره إلى خارج المعسكر ، وسار الرجلان وسط حشود التتار ، و « ميكى » يصطدم من وقت لآخر بأحد الأحجار المتناثرة فى الطريق ، مما أثار تفكه الجنود وضحكهم عليه . .

ابتعد الرجلان عن المعسكر . وفجأة ابتسم رسول القيصر ابتسامة عريضة ، وأخذ يقفز فرحاً وسط الأعشاب والشجيرات . ثم ارتمى الرجلان فوق العشب الرطب على حافة النهر ، لينالا قسطاً من الراحة بعد العذاب والتعب الذى لاقياه طوال اليوم . .

– لقد كنت رائعاً يا « بندقييف » ! لقد نجحت فى إنقاذى فى الوقت الذى كدت أفقد فيه كل أمل . إننى لاأدرى كيف أشكرك !

– لاتبالغ ياصديق ! . . لو كنت مكانى لفعلت نفس الشىء . ومع ذلك فإن الفضل لايرجع كله لى ، فلولم يسعفك







ذكاؤك فتضحك فى مثل ذلك الموقف حتى تدمع عيناك ، لما نجحت خطتى .

– أجل لولم أضحك حتى تدمع عيناى ، لكنت الآن فى عداد العميان . والآن يجب علينا أن نهتم بأمر « ميموشكا » وصديقتها ، فإذا نحن بقينا طويلاً فى أومسك ، فقد نتعرض للوقوع فى أيدى التتار ثانية . وإنى أرجوك ياصديقى أن تبعدها عن هنا .

– حسناً ! .. وأنت ماهى خطتك ؟

– لئن كنت قد فقدت رسالة القيصر ، إلا أننى عليم بمضمونها . سأذهب إلى إركوتسك ، وأطلع الأرشيدوق على حقيقة الموقف ، وأحذره من « ماسكارا نجرينسكى » .

اختتم « ميكى » حديثه ، وتهيأ للرحيل لإنجاز مهمته ، وألقى على صديقه آخر تعليماته ، ثم حانت لحظة الفراق فقال :

– وداعاً ياصديقى ! .. وأكرر توصيتى لك بأنه لايجب أن يعرف كائن من كان بأننى لم أفقد بصرى . إن نجاح مهمتى يتوقف على كتمان هذا الأمر .

– وهل أستطيع أن أذكر الحقيقة « لميموشكا » ؟

– نعم ، يحسن ذلك ! .. لقد قاست خطيبتى كثيراً ، وسيحزنها أننى فقدت بصرى .

أخذ « بندقييف » يحرك مجدافى القارب بنشاط مبتعداً عن الشاطئ ميمما شطر أو مسك . أما « ميكى » فقد وقف على الشاطئ . وصاح فى صديقه هاتفاً :

– حافظ على قاربك ، فسوف تحتاج إليه ! وداعا ! وليرعاك الله ! . .

– وداعاً يا « ميكى » ! كن حذراً ، ولاسيما من « ماسكارا نجرينسكى » .

وفيما بعد ، فى منزل « كلاراييفابيلاييفا » فى قلب مدينة أومسك ، كان « بندقييف » منهمكاً فى حديث هام مع الفتاتين ، وهو يحاول إقناعهما بأن « ميكى » يتمتع بصحة جيدة ، وإن العقاب الذى أنزل به لم يترك به أى أثر .

ولكن « ميموشكا » صاحت به فى انفعال :

– ياصديقى العزيز إننى أجد صعوبة فى تصديقك . . . فكيف أصدق أنك أنقذت « ميكى » من الإصابة بالعمى ، بمجرد رواية قصة غريبة ؟

– إننى لا أستطيع أن أفسر لك ماحدث تفسيرا علميا يا « ميموشكا » ... ولكن « ميكى » سيستطيع ذلك فهو أكثر منى تبحراً فى العلوم . وإلا لما وصل إلى رتبة النقيب فى الحرس الإمبراطورى . أما أنا فلست إلا صائد أسماك متواضع .





– قد تكون صائد سمك ولكن لك قلب كبير مثل المحيط .

كانت « ميموشكا » شديدة التأثر ، وكادت الدموع تطفر من عينيها . فبادرها « بندقييف » ملاطفاً :

– حسناً ! حسناً ! علينا الآن بإطاعة تعليمات « ميكى » يجب أن نغادر هذا المنزل إلى النهر ، وسنستقل القارب ونتجه نحو الغرب . حيث نصبح فى أمان .

فصاحت « ميموشكا » : مهلاً ! . . تقول يجب أن نتجه نحو الغرب حيث الأمان ؟ ! ولكن « ميكى » يتجه نحو الشرق ! ! . . إنه يتجه الآن نحو الخطر إذن ؟ ! ! . .

فأجابها « بندقييف » : هذا صحيح ولكن . . .

– ترى فى أى موقف خطر هو الآن ! قد يتعرض لمتاعب جديدة ويحتاج لمساعدتنا . إننى لم أقطع كل هذه المسافة من موسكو ، لكى أتخلى عنه الآن . فضلاً عن ذلك فأنى أود أن أسأله عن التفسير العلمى لما حدث . ولذلك فأنى سألحق به .

فصاحت «كلارابيفا» فى إصرار :

– وأنا سأرافقك . إننى أقرب صديقة لك ، ولن أتركك ترحلين وحدك . فغمغم « بندقييف » فى استسلام :

– أعتقد أنه لافائدة من المناقشة ! . . إذن فلنتجه جميعاً نحو الشرق ، ولتكن كل نجوم روسيا فى عوننا ! . .

أخذت «ميموشكا» تفكر فى الأخطار الجديدة التى قد يتعرض لها خطيبها، وبدون أن تتردد، قررت أن تلحق به.



«بندقييف» و«كلارايبفا» يتبعان «ميموشكا»..

أظن أنه لاجدوى من المناقشة...

لنتجه نحو الشرق!.

سأرافقك يا «ميموشكا»!.

قال ذلك وانكب على مجدافيه يحركهما بهمة ونشاط متجها نحو الشرق . . نحو الخطر . . ونحو « ميكى » ! . .

وبعد مضى أسبوع على هذه الأحداث ، وفى « إركوتسك » ، كان الأرشيدوق . . يعقد مجلساً حربياً فى القصر الإمبراطورى ، مع الكولونيل « ماسكارا نجرينسكى » ، وكان هذا الخائن قد وصل إلى الأرشيدوق ، ونجح فى اكتساب ثقته .

كان الرجلان يتدارسان خطة العمل ، مستعينين بخريطة كبيرة للمنطقة ، عندما دخل أحد الضباط مهرولاً إلى القاعة وصاح :

– ياصاحب السمو الإمبراطورى ! ياصاحب السمو الإمبراطورى !

– ماذا جرى ؟ . . ألا ترى أننا مشغولان فى دراسة الخطة التى تمكننا من القضاء على التتار ؟

– ولكن ياصاحب الجلالة إن . . .

فقاطعه الأرشيدوق محنقاً :

– كفى ! كيف تريدنى أكسب الحرب وأنت تضايقنى بهذا الشكل ؟

– ولكن ياصاحب السمو ، لقد وصل التتار ! . إنهم على أبواب المدينة .

– إذن أغلقوا الأبواب !









كان يبدو أن الأرشيدوق لم يفهم المعنى الحقيقى للمعلومات التى نقلها إليه الضابط الذى تملكته الحيرة . لقد أزعجه هذا الرد ، ولم يجد أمامه سوى أحد تفسيرين : فإما أن الأرشيدوق كان شديد الولع بالمزاح ، وإما أنه كان يلقى القول على عواهنه ! ولما كان يعرف بعض الشىء عن طباع الأرشيدوق ، فقد رجح التفسير الثانى ، واستدار معظماً ، وغادر القاعة .

وهنا قال الكولونيل :

– ياصاحب السمو الإمبراطورى ، إننى بصفتى كولونيلاً فى هيئة القيادة العامة ، وكخبير فى المسائل العسكرية ، فإنى أسمح لنفسى بأن أعرض عليكم خطة حربية .

– لابأس ! . . هات ماعندك أيها الكولونيل !

– بدلاً من إغلاق أبواب المدينة فى وجه العدو ، فإنى أنصح بتركها مفتوحة .

فصاح الأرشيدوق متعجباً . بحق كل مافى سيبيريا من ملح ! . . أهذا هو ماتدرسونه فى الأكاديمية العسكرية ؟ ؟

– نعم يامولاى . ذلك لأن العدو عندما يجد طريق المدينة مفتوحاً سيعتقد بدها أنها « مدينة مفتوحة » ليس بها شىء من وسائل الدفاع ، وعندئذ سيدخلها مطمئناً . وفى الحال نقوم نحن بإغلاق الأبواب خلفه ، وهكذا نوقع بالتتار فى الفخ !

– حقاً إنها خطة بارعة ياكولونيل !

لم يكن هناك من يجهل مايتسم به الأرشيدوق من قصر نظر وغباء ، ولذلك لم يكن من المستغرب أن يعتبر « نجرينسكى » عبقرياً . وقد اتجه الأرشيدوق نحو مكتبه ، وأخذ ورقة بيضاء قدمها للكولونيل قائلاً :

– خذ ! هاهى ذى بطاقتى .. إننى لن أكتب عليها شيئاً .

فغمغم « نجرينسكى » فى دهشة :

– ولكنى لاأفهم ياصاحب الجلالة ! مامعنى ذلك ؟

– معنى ذلك أننى أمنحك مطلق الحرية فى التصرف . وابتداء من هذه اللحظة ، فأنت ياعزيزى الكولونيل ، المسئول الوحيد عن الدفاع عن المدينة ، وعن إدارة العمليات الحربية !

وعندما وصل الكولونيل إلى جناحه ، أطلق لفرحته العنان وأخذ يفرك كفيه فى سعادة ... فلم يكن يتصور قط أن يكون الأرشيدوق بهذا الغباء . وأخذ الكولونيل يذرع غرفته ذهاباً وجيئة فى فخر وكبرياء وهو يحدث نفسه .

– ها ! ها ! ها ! لو أن كل الروس بهذه الدرجة من الغباء ، لكان « يات هيبول خان » كفيلاً بأن يكون الآن فى موسكو .

ولكنها كانت أيضاً مهارة منى إذ استطعت التخلص من

بدأ « ماسكارا نجرينسكى » يفقد أعصابه . ترى هل ارتكب خطأ ما؟ وأخذ يحدث نفسه : إن النقيب « ستروجوف » أعمى ، فكيف تمكن من الوصول إلى هنا ؟ إننى أشك فى أن يكون هذا الرجل هو رسول القيصر ، ولكن ، ومهما يكن من أمر ، فيجب أن أحول دونه والتحدث إلى الأرشيدوق .

والتفت نحو الجندى الذى كان ينتظر الرد وقال :

– سأستقبل رسول القيصر بنفسى . دعه يدخل ! . .

دخل النقيب « ستروجوف » الحجرة ، وطبقاً للخطة التى وضعها ، ظل واقفاً دون حراك ، إيهاماً منه للكولونيل بأنه أعمى حقيقة . وما أن رآه الخائن ، حتى صاح به وهو يستل سيفه :

– مرحى ! مرحى ! هانحن وجهاً لوجه مرة أخرى أيها النقيب « ستروجوف » ! . . أكنت تظن أنهم سيقودونك إلى الأرشيدوق ؟ ! لقد أخطأت إذن فى ظنك ، فأنا هو الذى يستقبلك . إننى الآن مفوض فى كل السلطات العسكرية .

– هراء ! لقد دنا أجل ادعاءاتك أيها الخائن القذر .

– ها ! ها ! ها ! أيها الغبى المغرور ، هل تظن حقاً أننى سأظل مكتوف اليدين فى انتظار قضائك على مشاريعى ؟ ! . .

أخذ الكولونيل يقترب من رسول القيصر ، مشهراً سيفه ، دون أن تبدر من « ميكى » أدنى بادرة ، فقد كان يلعب دوره





بمهارة فائقة ، وفى اللحظة التى كان السيف فيها على وشك أن يصيبه ، مال بسرعة إلى الخلف ، فمر السيف فوق رأسه ، وقال ضاحكاً : « يخيل إلى أن بصرك قد ضعف ياكولونيل » ! . .

رفع الكولونيل ذراعه بالسيف مرة ثانية ، وهوى به بعنف ، ثم مرة ثالثة ورابعة . . غير أن صاحبنا كان يتفادى كل هذه الضربات ، بنفس السهولة .

– ياللجحيم ! كيف استطعت أن تتفادى كل هذه الضربات ؟

– لا أدرى ! لعلها معجزة ! مارأيك ؟

– ولكن . . لكن . . أنت تبصر؟ ! . .

– ها أنت قد فهمت أخيراً !... إننى أبصر جيداً ، فالعقاب الذى أنزله بى شريكك المعظم ، الأمير « باتّ هيبول خان » ، لم يجد فتيلاً . بل لعله خدمنى خدمة عظيمة ، إذ أننى بتظاهرى بالعمى ، تمكنت من اجتياز كل المناطق التى غزاها التتار .

وعبثاً حاول الكولونيل « ماسكارا نجرينسكى » إعادة الكرّة لإصابة بطلنا ، إذ ظل « ميكى » يتفادى كل الضربات التى انهالت نحوه .

وفجأة وبينما كان « ستروجوف » يتقهقر ، وصل بظهره إلى



الجدار ، فانتهز « نجرينسكى » هذه الفرصة ، وهجم عليه هجمة ضارية ، وحدث ماكان متوقع أن يحدث ، فقد انحنى « ميكى » سريعاً ، فانغرس سيف الكولونيل فى الجدار .

كانت تلك هى الفرصة التى ينتظرها رسول القيصر ، فبينما كان عدوه يحاول انتزاع سيفه من الجدار ، أسرع « ميكى » إلى أحد المقاعد ، ورفعه عالياً وهو يصيح متحدياً :

– سنرى الآن ما إذا كنت تستطيع أن تتلافى هذه الضربة كما فعلت أنا ! . .

قال ذلك ، وأهوى بالمقعد فوق رأس الكولونيل ، فسقط هذا على الأرض دون حراك .

وبدون أن يضيع دقيقة واحدة ، أخذ « ميكى » يفتش كل جزء فى الحجرة ، إلى أن عثر على بغيته .

– ياحسن الحظ ! ... إن « ماسكارابجرينسكى » لم يكن من الذكاء بحيث يحرق الرسالة التى عهد إلىّ بها القيصر . إن هذه الرسالة ستجنبنى كثيراً من المصاعب ، يكفى أن أطلع الأرشيدوق عليها ، لكى يقتنع بخيانة الكولونيل .

تناول « ميكى » سيف خصمه ، ووقف فى هدوء إلى أن أفاق غريمه من غيبوبته ، فرأى « ميكى » أمامه وسيفه فى يده ، وهو يقول له بصوت آمر :

– قف أيها التعس ! .. لقد انتهت مهزلتك . إن الأرشيدوق سيقرأ باهتمام بالغ ما كتبه عنك أخوه القيصر .

وبعد ساعة ، كان « ميكى » قد أطلع الأرشيدوق على كافة أعمال الخيانة التى قام بها الكولونيل . وبعد أن أطلعه على رسالة القيصر ، كشف له عن الخطط الحربية التى وضعها التتار ، وهنا كان الأرشيدوق قد وقف على كل تفاصيل الموقف .

أخذ الرجلان يتدارسان الإجراءات الواجب اتخاذها ، وإذا بضابط أركان يدخل مسرعاً وهو يصيح : ياصاحب السمو







الإمبراطورى ! . .

– أهذا أنت ثانية ؟ أى خبر سيئ تحمله هذه المرة ؟ !

– فرسان التتار يامولاى ، بقيادة « يات هيبول خان » يستعدون لمهاجمة المدينة ! . . يكفى يامولاى أن تنظر من النافذة لتتحقق من ذلك بنفسك ! . .

تناول الأرشيدوق منظاره المقرب ، فهاله مارأى : فعلى السهل ، وعند مرمى البصر ، تجمعت آلاف من فرسان التتار ، وهم على استعداد للهجوم .

وكان على رأس هذا الحشد من الفرسان أميرهم « يات هيبول خان » ، وقد امتشق سيفه على أهبة إصدار الأمر بالهجوم .

تهاوى الأرشيدوق على أقرب المقاعد إليه وقال : إنهم سيستولون على المدينة ، فما الذى تشير علىّ به أيها النقيب « ستروجوف » ؟

– سأشير عليك بعكس مانصحك به الكولونيل « نجرينسكى » يامولاى ! . . .

– الحق معك ! فلا شك فى أن الخائن قد تفاهم مع « يات هيبول خان » ، على أن يقوم هذا الأخير بالهجوم على المدينة بدون استخدام المدفعية ، اعتقادا منه بأننى سأترك أبواب المدينة مفتوحة .







– تلك هى الفكرة ياصاحب السعادة . سنتصرف كما لولم يحدث أى تغيير فى الخطة : سنترك أبواب المدينة مفتوحة إلى آخر لحظة ، وعندما يصل فرسان التتار إلى مرمى قنابلنا ، نقوم بإغلاق الأبواب ، ونبدأ فى إطلاق المدافع عليهم لسحقهم .

فصاح الأرشيدوق فى حماس :

– عظيم جداً ! . . هذه هى الإستراتيجية العسكرية الأصيلة ! إنها لخطة عظيمة ، غاية فى الإحكام ، ستحتل بلا شك مكانة خاصة فى كتب التاريخ ! . .

وفى هذه الأثناء وعلى نحو كيلو متر ، من «إركوتسك» ، وأمام أسوار المدينة ، كان أمير التتار يصدر آخر أوامره :

– أيها الجنود الشجعان ! . . إن أعظم انتصاراتنا فى انتظارنا الآن . إننى اليوم لن أطلب منكم أن تقاتلوا ، بل سأطلب منكم فقط أن تتبعونى ! . . قال هذا ولكز جواده وشهر سيفه وهو يصيح : إلى الهجوم !

اندفعت حشود التتار خلفه مهللة هاتفة مما ملأ السهل ضجيجاً يثير الرعب فى القلوب .

كان هذا الاندفاع الجنونى يختلف تماماً عن الهدوء الذى كان سائداً داخل المدينة . كان الضباط على درجة عالية من الثبات وتمالك الأعصاب وهم فى انتظار أوامر الأرشيدوق للبدء فى



الهجوم المضاد .

أما الجنود فقد اصطفوا فى تشكيلات منتظمة .

واقترب أحد الضباط القوزاق من الأرشيدوق وقال بنفاذ صبر ! :

– ياصاحب السمو الإمبراطورى ! . . . إن فرسان التتار أصبحوا على بعد ١٠٠ متر .

– إذن فقد حانت اللحظة الحاسمة !

قال ذلك ورفع سيفه وصاح :

– إلى جميع البطاريات . **استعداد !** . **اضرب !** . .

وفى دوى هائل ، انطلقت جميع المدافع فى وقت واحد ، وأخذت قنابلها تتساقط على التتار الذين أذهلتهم المفاجأة ، إذ لم يكونوا يتوقعون مثل هذا الاستقبال .

– ياللجحيم ! ماذا يجرى هنا ؟

– خيانة ! . . .

– لقد وقعنا فى كمين !

وتتابعت الطلقات فى دوى رهيب ، وسرعان ماتحول ميدان المعركة إلى ساحة للهرج والمرج ، وأخذ التتار يجرون فى كل اتجاه ، وقد تملكهم الفزع ، وسادهم الاضطراب ، وكل منهم يحاول النجاة بنفسه . وفى خضم هذا الهرج كان بعض الفرسان ،

وهم يتدافعون فى جنون سعياً وراء النجاة ، يتصارعون فيما بينهم .

كان النصر واضحاً للمدافعين عن المدينة ، فالهزيمة التى حلت بالتتار كانت ساحقة ، ولم تبق سوى الضربة الأخيرة .

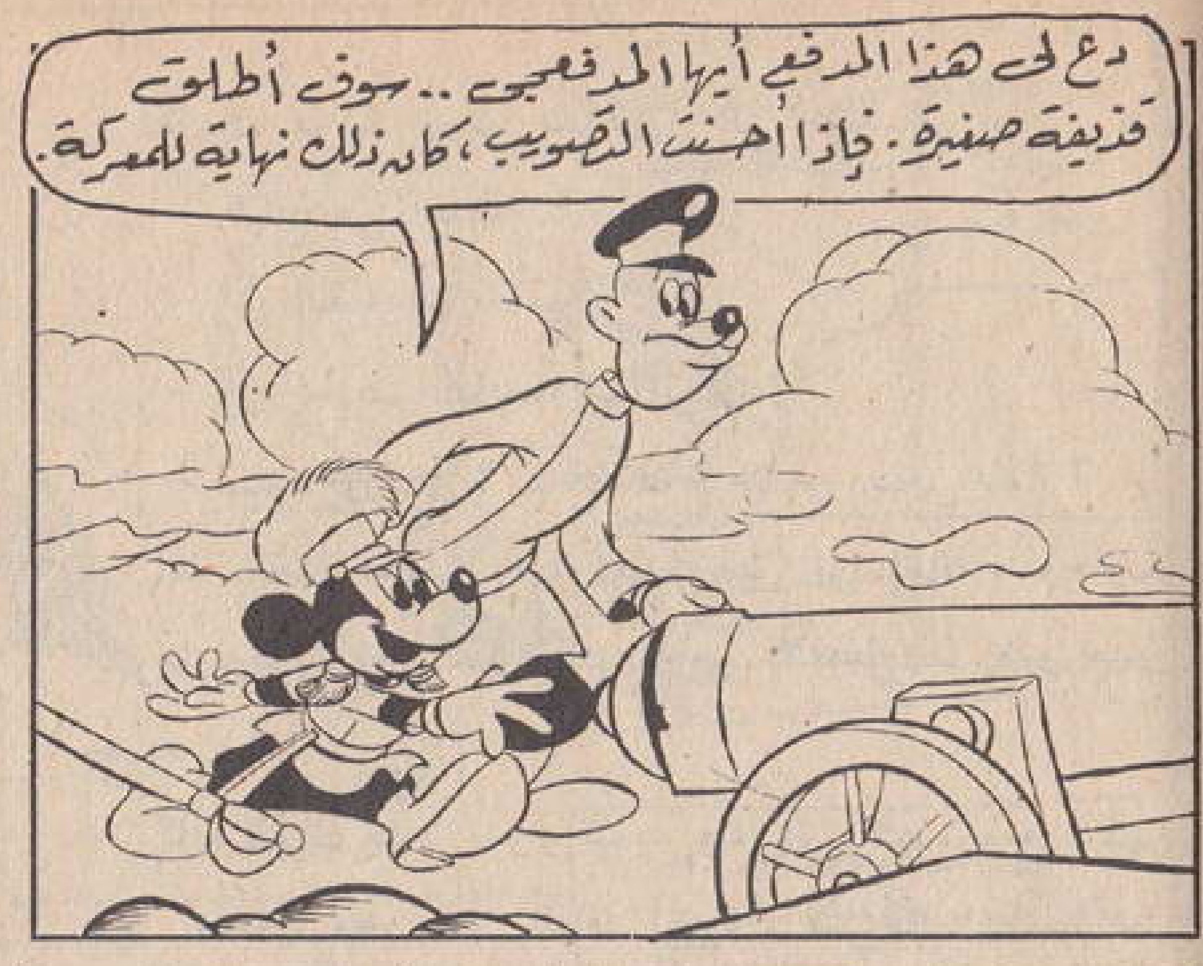
وهنا تقدم رسول القيصر من أحد المدفعجية ، ليحصل على نصيبه فى هذه المرحلة الأخيرة ، وقال له :

– اترك لى هذا المدفع ، لأنى أريد أن أطلق قذيفة صغيرة ، فإذا نجحت فى إصابة الهدف فثق بأنها ستكون خاتمة المعركة .

أخذ « ميكى » يتفحص الأفق أمامه فحصاً دقيقاً ، ثم وجه مدفعه بإحكام . . . و « بوم » انطلقت القذيفة تصفر فى الهواء . . . ووووووووووو ! واستقرت على رأس « پات هيبول خان » ، فأسقطته من على ظهر جواده .

وتمتم « ميكى » وهو ينظر من خلال منظاره المقرب : إن له رأساً صلبا ، هذا الأمير ! لقد أجدت التصويب ، وأصابت القذيفة جمجمته فعلاً ، إن هدفى هو زعزعة الروح المعنوية فى باقى الفرسان ، وقد تحقق لى ماأردت وإذا لم أكن مخطئاً ، فإن التتار الآن يقاتلون فى سبيل الانسحاب .

لم يكن « ميكى » مخطئاً ، فعندما رأى التتار أميرهم وقد طرح أرضاً ، حتى أصابهم الذعر وأخذوا يهذون :







– إن هؤلاء الروس شياطين . إننى عائد إلى أمى !

– فلينج من استطاع ! .

– إلى اللقاء أيها الأمير ! . . .

– إلى الحرب القادمة أيها الرفاق !

– سنعود إلى ترتاريا . . إن المناخ هنا غير صحى بالمرة ! . .

أما « يات هيبول خان » فبدأ يفيق من إغمائه ، وحاول النهوض وهو يترنح . لقد أيقن أنه من الأفضل أن يحذو حذو جنوده .

كان لايزال يشعر بدوار شديد وألم فى رأسه ، ومع ذلك هرول منسحباً وهو يتمتم بألفاظ ترترية ، لا يمكن ترجمتها مع الأسف .

أما الأرشيدوق ، فقد استبد به الفرح ، فأخذ يحتضن كل من كان قريباً منه وهو يصيح : انتصرنا ! لقد دافعنا عن مدينتنا وكسبنا الحرب . إن التتار ينسحبون بسرعة ! .

وأضاف « ميكى » بل إنهم سوف يجرون بهذه السرعة إلى أن يبلغوا ترتاريا ! ويخيل إلىّ أننا انتزعنا منهم كل رغبة وقابلية للحرب .

وأقيمت الاحتفالات فى كل أرجاء المدينة ، ابتهاجاً بالنصر العظيم على العدو ، وإن ظلت أعين الحراس مفتوحة لاحتمال أن

يتجمع التتار ، ويعيدوا تنظيم صفوفهم لمعاودة الهجوم .

وفى صباح اليوم التالى ، تملك الذعر أحد الحراس المتقدمين ، وأخذ يصيح : انتباه ! إن التتار يعاودون الهجوم ! ولكن قائد داورية الحراسة ، بادر بإسكاته لكيلا يشيع الذعر بين الأهالى ، ثم تناول منظاره المكبر ، وأخذ يتطلع من خلاله فى الاتجاه الذى أشار إليه الجندى .

– هجوم ؟ ! عن أى هجوم تتحدث ؟ ! . . إننى لا أرى سوى جندى تترى واحد ، لا يمكن أن يشكل خطرا فبصحبته سيدتين . هل تسمى هذا هجوماً أيها الغبى ؟ ! . .

وعند الباب الغربى للمدينة ، استقبل الضابط المكلف بالحراسة ، الوافدين الثلاثة . وطبعاً لم يكن هؤلاء الوافدون سوى « بندقييف » و « ميموشكا » و « كلارابيفا » ، الذين وصلوا متأخرين قليلاً لمساعدة رسول القيصر .

كان « بندقييف » لايزال متنكراً فى الزى التترى ، مما جعل ضابط الحرس ينظر إليه بارتياب . لولا أن تقدمت « ميموشكا » وأوضحت له حقيقة الأمر ، وقالت : إن صديقى هذا ليس تترياً . إنه مواطن روسى ، وهو مقيم فى سيبيريا وقد اضطر لهذا التنكر ، أقسم لك ياسيدى أنه تترى مزيف ! . .

– تترى مزيف أو حقيقى فالأمر سيان . لأن التترى سيظل





دائماً تتريا .

– والغبى سيظل دائماً غبيا ! . . .

– بالتأكيد ! ، لابد أن يكون هذا الضابط قد حصل على جائزة الأوسكار فى الغباء ولعله سيحصل عليها ثانية . .

– إذن استمع إلىّ أيها الملازم ! . . إننى مسئولة عن صديق ، وأنا خطيبة النقيب « ستروجوف » ، رسول القيصر ومنقذ « إركوتسك » .

– كان يجب أن تذكرى ذلك منذ البداية . أرجو المعذرة ياآنسة ! . . تفضلوا بمرافقتى ، وسأقودكم إلى الداخل !

وهكذا اجتمع أبطالنا بطريقة غاية فى البساطة ، بعد فراق قصير ، وساعات عصيبة . . وما أن وقعت عينا « ميكى » على « ميموشكا » ، حتى اندفع نحوها فاتحاً ذراعيه وهو يصيح :

– « ميموشكا » !

جرت « ميموشكا » هى الأخرى نحو خطيبها وهى تصيح :

– « ميكى ! » .

انهمرت الدموع من عينى « كلاراييفا » عندما شاهدت هذا المشهد المؤثر ، تأثراً وفرحاً لسعادة أصدقائها :



– ما أجمل هذا المنظر ! لقد طارت الحمامتان كل منهما نحو الأخرى . .

وعلق « بندقييف » على ذلك بقوله : غريب . . لقد كنت واثقاً أن للحمام أجنحة وليس أذرعاً . يجب أن أدقق أكثر عند النظر إلى الطيور . . .

وصاح « ميكى » ، وهو يضغط على يدى « ميموشكا » فى حنان :

– ما أسعدنى برؤيتك ثانية إلى جوارى ! . . لم يكن فى تصورى أن تأتى إلى هنا ، ولقد قلت « لبندقييف » أن . .

– أعرف ! أعرف ! كنت تريد الاطمئنان على سلامتى ، ولكنى استطعت إقناعه بأن يصحبنى إلى « إركوتسك » . فقد استبد بى القلق عليك ، ولم أستطع الصبر لمعرفة الطريقة التى أنقذت بها عينيك . .

– ها ! ها ! ها ! إن الفضل كله يرجع إلى « بندقييف » ، إن الأمر بسيط : لقد أثارتنى القصة التى رواها « لبات هيبول خان » لدرجة أننى ضحكت حتى دمعت عيناى .

وكان ذلك هو مايريده « بندقييف » . إن البخار الذى تصاعد من الدموع قد تجمع تحت الجفنين ، وكان بمثابة غشاء واق بين النصل المتوهج وحدقة العين . وكان ذلك كافياً لإبطال





تأثير الحرارة .

– أهذا هو التفسير العلمى ؟ ! .

نعم يا «ميموشكا» ! . والآن تعالى معى لأقدمك للأمير . . فهو متلهف لرؤيتك ! !

كانت «ميمى» قد قربت من سرد نهاية قصة «ميشيل ستروجوف» . لقد أمضت ساعات طويلة وهى تتكلم فى التليفون من أكابولكا . . ولم تلحظ أن الظلام قد هبط على الكون . . فأكملت قصتها : وهكذا وبعد مضى شهر على هذه الأحداث تزوج الضابط الجرىء من خطيبته الباسلة ، وأنجبا العديد من الأبناء والبنات ، وعاشا معاً فى سعادة وهناءة .

كان «ميكى» عند الطرف الآخر من الخط ، لايزال يغط فى نومه . . وأخذت «ميمى» تناديه :

– «ميكى» ! «ميكى» ! هل تسمعنى ؟

ولكن «ميكى» لم يكن يسمع ، فصاحت بأعلى صوتها : «ميـ . . كى . . !» وعندئذ تنبه «ميكى» من نومه ، وانتفض مذعوراً وهو يقول : هيه ! ماذا ؟ مالذى يجرى هنا ؟

– هل أنت بخير يا «ميكى» ؟

– ماذا ؟ أوه ، أجل . أجل . إننى بخير .

– هل أعجبتك القصة التى قرأتها لك ؟

ولكن دعينا من التفاصيل وتعالى معى .. سأقدمك إلى الأرشيدوق العظيم ، فهو متشوق للتعرف عليك ..

كانت «ميمى» تتكلم فى التليفون منذ ساعات .. وقد بدأ الليل يرخى سدوله ..

وبعد مضى شهر على هذه الأحداث .. تزوج الضابط الهمام من خطيبته الجميلة ..

– أجل . أعجبتني كثيراً يا « ميموشكا » . . أوه . . أقصد « ميمي » . . . وبينما كان صوتك العذب يداعب أذني . كنت مستغرقاً في أحلامي .

يالك من شاعر يا « ميكي » إن « فيكتور هوجو » نفسه لم يكن ليعبر بأروع من ذلك .

– لم يكن « فيكتور هوجو » يعرف التليفون !

– وبمناسبة ذكر « فيكتور هوجو » ، كنت أود أن أخبرك ، بأنني استعرت إحدى قصصه ، وأعتقد أن اسمها « البؤساء » . هل قرأتها ؟

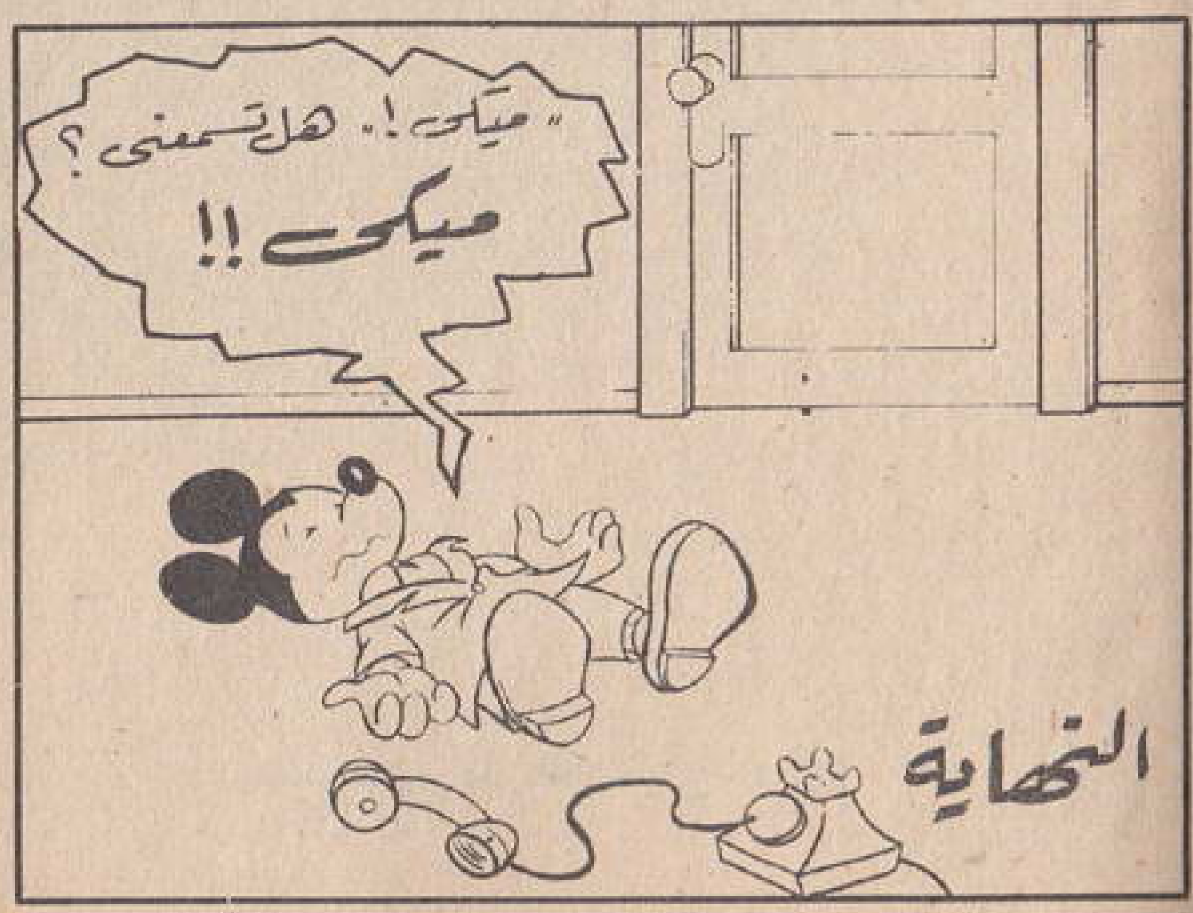
– كلا . . .

– حسنا ! . . هاك ماسأفعله ! عندما أنتهي من قراءتها ، سأطلبك تليفونياً وأرويها لك . هل توافق ؟

ولم يجب « ميكي » فقد سقط مغشياً عليه ! . .

– ألو ! « ميكي » ألو ! لماذا لاتجيب ؟ ألا تجرؤ على قبول ماأعرضه عليك خشية التكاليف ؟ ولكن اطمئن ! سأطلب تحويل فاتورة المكالمة باسمك ! ! . .





ميكي ستروجوف

-- أيها النقيب « ميكى ستروجوف » إن مصير روسيا بين يديك !

أحس « ميكى » بانفعال كما أحس بأهميته ، فضم كعبيه بشدة ، وتناول الرسالة الخطيرة التى عهد إليه بها القيصر ، ثم غادر القصر الإمبراطورى .

كان « ميكى » يعلم أنه مقبل على العديد من المغامرات ، وأنه سيضطر لمواجهة جحافل قوات « بات هيبول خان » الشرسة ، وفضح ذلك الخائن الروسى الكولونيل « نجرينسكى » ومع ذلك كان على استعداد لمواجهة المخاطر والصعاب . . فقد كان يشعر حقا بأنه بطل من أبطال مغامرات « چول فيرن » . . ولا عيب فى هذا . . فمن الطبيعى أن يحلم الإنسان ويتخيل . . فأحياناً يكون للأحلام رد فعل ونتائج مذهلة .

